

لحظة انهيار

روايـة



لحظة انهيار



الطبعة الأولى

1442هـ - 2020م

رقم الإيداع

2019/13498

الترقيم الدولي: I.S.B.N

الموقع الإلكتروني للكاتبة:

elshanawanyh@yahoo.com

https://www.facebook.com/hanaa elshanawany.7





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣٠٢+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E.mail: alamia_misr@hotmail.com

لحظة انهيار

روايـة

أشخاص هذه الرواية خيالية ولا أعني شخصًا بعينه فيها

كتبتها عام 2009

كتبه

د. هناء الشنواني



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



سامية

بعد عام من انفصال د. عزمي من سامية، كان جالسًا على شاطيء البحر مكانه المفضل، فهو لايمل من رؤية الأمواج المتلاطمة تحت السماء الممتدة، وأشعة شمس الصباح باسطة ذراعيها على الماء، أمسك فنجان القهوة بيد وبيده الأخرى أمسك جريدة الصباح يتصفحها فلفت نظره صورة سامية في الجريدة في صفحة الحوادث، فاندهش لم يكن يقرأ صفحة الحوادث أبدًا حتى لا يصاب بالاكتئاب أكثر مما هو فيه، ولكن لابد أن يقرأ ما كتب بخصوص سامية، قرأ المكتوب بشغف ولهفة، كان العنوان جريمة قتل مصرية في الكويت، لقد كانت سامية هي القتيلة، ياللهول، شعر بحزن وألم يعتصره رغمًا عنه، ولم يشتكمل القهوة، وظل ينظر إلى البحر حتى يهدأ، بلا فائدة.

ظلت الجرائد تكتب عن هذه الجريمة محاولة كشف المستور، لقد سافرت سامية إلى الكويت وعملت في الجامعة، وعاشت وحدها في شقة منفصلة عن أمها التي تزوجت من كويتي، ثم وجدت مقتولة في شقتها، وأصيبت والدتها بانهيار ودخلت المستشفى في غيبوبة.

حزن د. عزمي رغمًا عنه، وأشفق عليها، وبكى من أجلها، لقد عاش معها عدة سنوات لم تغضبه يومًا، وأحس معها بسعادة لم

يجربها من قبل، كانت كنسيم شهر أبريل الذي يعشقه، ثم تذكر قول أستاذه عندما أخبره بزواجه من سلوى: نصفك الآخر لا تكرهه أبدًا مهما بدر منه.

السيجارة الأولى



زادت الفجوة بين د.عزمي وزوجته سلوى حتى انقطع الحديث بينهما تمامًا، وأخذت تسترجع حياتها من البداية، من أيام الدراسة.

أرادت سلوى أن تنتهي من رسالة الدكتوراه في أسرع وقت لأنها حامل، وسوف تنشغل بالطفل، بالرغم من وعد والدتها لها بالمساعدة ولكن لا شيء مضمون، فربما تتعب أمها في أية لحظة، لأنها مصابة بارتفاع الضغط، في ذلك اليوم طلبت منها والدتها أن تتناول الغداء عندها هي وعزمي، فاستغلت سلوى تلك الفرصة للذهاب إلى مكتبة المحافظة القريبة من بيت والدتها في الإبراهيمية، وفي المكتبة قابلت سمية التي كانت من أفراد شلة الجامعة، كانت قد قدمت أوراقها للجامعة لتوها لدراسة الماجستير، وكانت متشحة بالسواد، و يبدو عليها الحزن، وعرفت سلوى منها أن والدتها قد توفيت، وأنها تشعر بعدها بفراغ كبير، وعندما رأت خاتم الزواج في يد سلوى والسعادة تبدو على وجهها، وعلامات الحمل ظاهرة على بطنها البارزة، قالت لها: هل تزوجت هيثم؟ كانت سمية تعرف تمامًا أن هيثم لم يتزوج سلوى، ولقد بكت أمامها كثيرًا عندما أعلن



خطوبته، ولكن سمية أرادت لوجه سلوى المتألق أن ينطفيء وتتذكر تلك القصة القديمة. لم تستطع سلوى المكوث في المكتبة مع سمية، وذهبت إلى أمها، كان الوقت مبكرًا وأمها لاتزال نائمة، وكذلك والدها الذي يصحو متأخرًا دائمًا لأنه يسهر في عمله، وكان سمير مستغرقًا في ألعاب الكمبيوتر، كعادته، فلم تنتظر حتى يفتح لها أحد منهم الباب، وفتحت المنزل بالمفتاح، وجلست في حجرتها وحدها، كانت حجرتها قد تغيرت، حيث وضعت أمها فيها الجهاز المرئي الخاص بوالدها، ورأت علبة سجائر والدها فوق الجهاز، وبطريقة لا شعورية أخرجت سيجارة وأشعلتها بيد مرتعشة، وأخذت تنفث الدخان بهدوء، اضطرت أن تدخن لأنها لا تستطيع الشكوى، وإذا اشتكت لمن ستشتكي؟ لزوجها أم لأمها؟ أم لزميلات الدراسات العليا؟ اللاتي ابتعدت عنهن بعد الخطوبة خوفًا من الحسد، ثم شعرت بحركة أمها فأطفأتها سريعًا.

أيام الجامعة



كانت سلوى في كلية التجارة، وتصغر عزمي بعام واحد، لم يلحظ عزمي سلوى سنوات الدراسة، فقد كان عدد الطلبة كبيرًا، ولم تكن في نفس الصف الدراسي، وكان يكتفي بمعرفة بعض الزملاء الذين يبدو عليهم الجدية والاجتهاد في الدراسة، ولم يحادث فتاة قط، وعندما أوقفته زميلة لتسأله عن ميعاد إحدى المحاضرات

تلعثم، ولم يستطع الرد، فهو من أول يوم نوى أن يجتهد ليعين فى الجامعة، ولم يتقابل مع سلوى إلا فى محاضرات التمهيدي للماجستير، قبل ذلك أثناء الدراسة كانت سلوى مقبلة على الحياة، ترسمها فى خيالها كفيلم قديم رومانسي، هي لم تكلم شابًا وحدها أبدًا، كما نصحتها أمها خوفًا على سمعتها، فاندمجت فى مجموعة تضم أولادًا وبنات، يتناقشون فى قضايا السياسة والمجتمع، ولم يكن أحد منهم يأتي بجديد، وإنما كل منهم كان يتكلم بطريقة تنم على أنه صاحب هذه الجملة، حتى نكاتهم كانت منقولة أيضًا، وأحيانًا كانوا يقضون الساعات في نقد سلوكيات المجتمع، فعندما علموا زواج أحد المعيدين من امرأة مسنة، علق أحدهم: إنه عديم الأخلاق ودنيء ووصولي، وقال آخر: لا... بل هو يبحث عن حنان الأم، وقالت سلوى: لا.. إنه من بيئة ليست لها أصول، ومن المؤكد أنه عانى من الفقر الشديد والحرمان ما جعله يفرح بامرأة مسنة من أجل المال!

وعندما رأوا معيدة تدخن في حجرتها، لم يكفوا عن الثرثرة بأنها منحلة الأخلاق، واستمروا يجتمعون كل يوم خميس حتى لمح أحدهم لسلوى بإعجابه بها، لم يكن به أي شيء من ملامح الجاذبية، ولكنها أحبته لأنها لابد أن يكون لها شلة وقد كانت، وأيضًا لابد أن تحب فأحبته، وهكذا شعرت أنها جامعية، ولكن دورها كما رأته فى أحد الأفلام العربية لم يكتمل بعد، عندما طلب منها هيثم أن تصور له المحاضرات كل أسبوع لبّت فى الحال، وبمنتهى السعادة كانت تنقح المحاضرات، ثم تصورها وتعطيها له، وهى سعيدة وممتنة أنه



وافق وتفضل عليها ووافق أن تساعده، كانت طوال الأسبوع تعمل بجد من أجل هذه اللحظة، وكان يعمل طوال الأسبوع ليدخر ثمن الشبكة، لقد قال لهم ذلك، ثم سألها عن عمل والدها وعنوانها ورقم تليفونها، واتصل بها في البيت مرة واحدة ليثبت لها حسن نواياه، وطلب منها الخروج معه، ولكن والدتها حذرتها منه ومن كل الشباب، وقالت لها: لا بأس بأحاديث الجامعة فقط مع مجموعة، أما في البيت فممنوع الاتصال، وممنوع الخروج، وعندما لاحظت الامتعاض على وجه ابنتها، قالت لها: لو أضمن أن يتزوجك لا بأس، ولكن ربما يكرهك إذا خرجت معه، فدافعت سلوى عنه باستماتة، وذكرت لها قصصًا لبعض المعارف اللاتي نجحن في الزواج بعد قصة حب وخروج معًا إلى المتنزهات، فتغير لون وجه أمها، وقالت لها: ربما يصلح مع أخرى مالا يصلح معك؛ ليس كل الناس سواء. واكتفت سلوى بلقاء يوم الخميس الذي جعل لحياتها معنى وهدفًا، وفى آخر يوم من العام الدراسي الرابع، قال لجميع أفراد الشلة وبمنتهى البساطة التي كانوا يحكمون بها على الناس إنه سيخطب جارة خالته التى يحبها منذ سنوات المراهقة، وشعرت سلوى أن الفيلم الرومانسي القديم تحول فجأة وعلى غير الحسبان إلى كابوس واقعي مؤلم، وأخذت تسأل نفسها: لماذا حدث هذا؟ وبكت بمرارة أمام صديقتها سمية التي قالت لها: أنا أتعجب ما الذي يعجبك في هيثم هذا؟ فهو غليظ الملامح، استغلالي، لماذا طلب منك أنت بالذات المحاضرات؟ فهو يعرف أولادًا كثيرين،



لماذا لم يطلب منهم؟ وكان يبدو عليه أنه لايحبك و..... إلخ، وتعجبت سلوى من أمر سمية، فهي لم تحذرها من هيثم من قبل، ولم تقل لها هذا الكلام، وإنما كانت تقوم بدور المتفرجة عندما كانت تروي لها أحلامها وتلميحات هيثم، والآن تنهال الحكمة من بين شفتيها! وشعرت بالاستغلال والوحدة وندمت على ما فعلت، لم تذهب سلوى إلى البيت مباشرة ذلك اليوم ولكنها سارت على قدميها إلى بيت صديقتها رحمة، وعندما وصلت إلى عمارة صديقتها ترددت وعادت إلى بيتها في الإبراهيمية، وفي طريق العودة كانت تقف أمام واجهة المحلات بين الحين والأخرى في محاولة مستميتة لنسيان ما حدث، فهي لا تريد أن يراها أحد بهذه الصورة، فاستغرق ذلك منها وقتًا طويلًا، حيث كانت رحمة تسكن في كامب شيزار. في ذلك الوقت كانت أم سلوى تؤكد لجارتها زينب أن سلوى لن تتأخر فليس عندها إلا محاضرة واحدة في ذلك اليوم، وكان مع زينب قريبة لها تبحث عن عروس لابنها، ولقد حدثتها زينب عن سلوى، فهي جميلة ومؤدبة ووالدها ثري، لديه محل مجوهرات، وعندما رأت والدة العريس أم سلوى، سألتها زينب: ما رأيك في العروس؟ فظهر على وجهها الامتعاض، وقالت لها: أية عروس؟ فقالت لها: العروس شكل أمها تمامًا، فهزت رأسها بسعادة وقالت لها: جميلة، ثم دخلت أم سلوى تقدم لهما أكواب العصير، وفي هذه اللحظة اندفع سمير داخل حجرة الصالون ليسلم على الضيفتين، فاستأذنت السيدة بلطف بعد أن سلمت عليه وقبلته وأعطته بعض الحلوى من

حقيبتها، وانصرفت قبل أن ترى سلوى وقبل أن تشرب العصير الذي قدمته لها أم سلوى. فأحست والدة سلوى بالقلق والحزن لدرجة أنها لم تسأل ابنتها عن سبب تأخيرها أو سبب تجهمها. وبينما كانت سلوى غارقة في أحزانها دق جرس الهاتف وكانت صديقتها رحمة، فلم تخبرها بما حدث، فرحمة كانت متزمتة وعنيفة، وكل شيء عندها حرام، لذلك لابد من انتقاء الكلام معها، فهي لا تعلم أن لسلوى مجموعة في الكلية تتحدث معهم، وكانت صديقة لها منذ أيام المرحلة الإبتدائية، ولكنها التحقت بكلية الهندسة، ورغم ذلك ظلت على اتصال بها، فهي طيبة، وبينهما صفات مشتركة، وذكريات جميلة، حاولت أن تنهي المكالمة بسرعة، لأنها إذا قصت عليها ما حدث ستقول لها إنها المخطئة، لماذا حدثت شابًا؟! ثم دخلت حجرتها ولم تقص لأمها ما حدث، وظنت أن أمها لا تشعر بها لأنها لم تسألها عن سبب تجهمها، ولم تسألها أيضًا عن سبب تأخرها في ذلك اليوم أكثر من المعتاد بحوالي الساعتين، بينما في الحقيقة كانت أمها مكتئبة لما حدث، وحمدت الله على تأخر سلوى وعدم وصولها، فكما يبدو هذه المرأة لم توافق على سلوى بسبب سمير، ولكن هذا أمر الله، فليس لهم بذلك حيلة، استلقت سلوى على سريرها تحاول النوم فاقترب منها أخوها الصغير سمير البالغ من العمر ثلاث سنوات، وكان مصابًا بمتلازمة داون، فكان يشبه الطفل المنغولي، ولكنه أكثر ذكاء من المصابين بهذا المرض، فطلب منها أن تلعب معه بإصرار، ولكي تهرب منه أغمضت عينيها، وتظاهرت بالنوم حتى نامت بالفعل.



أفاقت سلوى من الصدمة بسرعة، فهي صغيرة وأمامها الحياة، و صممت على أن تتغير، فبدأت فى الدراسة التمهيدية للدراسات العليا، ورأت المعيد عزمي الشاب الصعيدى المجتهد، فصممت على الإيقاع به، لم يكن يتحدث مع الفتيات لذلك كانت تجلس بجواره، وتتحدث إلى صديقاتها بصوت يسمعه لتلفت انتباهه، وكانت أصغر منه بعام، لم يكن في دفعتها، والتقت معه في التمهيدي لأنه كان يؤدي الخدمة العسكرية، ثم اختارت نفس المشرف على رسالة عزمي ليكون مشرفًا لها. وشعرت سلوى بالإحباط من عدم التفات عزمي لها. وحاولت الانصراف عن التفكير فيه، وبالفعل انهمكت سلوى في الرسالة، وسعدت بإطراء المشرف لها، ووجدت نفسها في الدراسة. ونسيت عزمي تمامًا، وعندما اتصل عزمي بوالدها وحدد ميعادًا للتعارف، كانت مفاجأة لها مذهلة، وظنت نفسها تحلم، ولقد لاحظت والدة سلوى مظاهر التغيرات التي تمر بها ابنتها، فهي تارة حزينة جدًا وتارة فرحة جدًا، وكانت تشعر بما فعله هيثم بها، برغم عدم إخبارها بالتفاصيل، فكانت تعاملها برفق، وبعد موافقة والد سلوى بعزمي، بدأ عزمي يكلم سلوى أمام الزملاء.

ذكريات



استيقظ عزمي في الصباح الباكر وهو يشعر بالسعادة والنشاط والإقبال على الحياة، فلقد حصل على الدكتوراه، وأنجب ابنة جميلة،



فاكتملت سعادته، كان اليوم جمعة، وكانت سلوى قد زارت أمها المريضة في اليوم السابق فباتت عندها، فخرج عزمي وحده ذلك اليوم، ذاهبًا إلى مكانه المفضل، وقف عزمي أمام شاطيء جليم، وكان الجو رائعًا كعادة الجو في شهر أبريل، كانت الشمس دافئة، والهواء منعشًا، والبحر ممتدًا أمامه بلونه الأزرق هادئًا، وانعكست الشمس على وجهه فأضاءته وأظهرت وسامته، فملامحه معتدلة، وأنفه مستقيم في طول ليس بالمفرط، ووجهه يميل إلى الطول، أسمر، وعيناه سوداء، وشعره أسود غزير مجعد، ويفضل حلاقته مثل ضباط الجيش، ويرتدي الملابس الرياضية التي لا يفضل سواها أثناء سيره على البحر، هذا مع طول قامته مما يوحي لمن يراه بأنه رياضي أو ضابط في الجيش، سار بخطى رشيقة متجهًا إلى بعض الصخور حيث كان يحب سماع صوت الأمواج وهى ترتطم بها، وجلس قريبًا منها، يتأملها تارة، وتارة يتأمل سفينة لاحت له من بعيد، كان عزمي يحب شهر أبريل، رائحة الهواء، ملمس الشمس، وكان أيضًا يحب الخروج فى هذا الشهر كثيرًا للسير على شاطىء البحر، والشمس تبسط أشعتها على سطح الأمواج الهادئة، وأحيانًا كان يسير على لسان صخري ـ ممتد داخل البحر ـ حتى يصل إلى حافته، ثم يجلس يتأمل الأمواج وهى تروح وتجيء وتتقلب، وتعلو تارة وتهدأ تارة أخرى؛ تذكره بالحياة وتقلباتها، فعندما أتى إلى الإسكندرية من بني سويف للالتحاق بالجامعة كان قلقًا من الغربة والوحدة التي لم يتعود عليها، ففي بلده عاش وسط عائلته: والده



وأمه وإخوته الستة وأعمامه وعماته وخالاته وجيرانه وأصدقائه..... هم كثيرون، إذا مل من أحد يجد آخر، يعرف كل فرد في البلد، هذا طيب... هذا لئيم ... هذا كاذب... كل شيء معروف، أما هنا لا أحد يعرف أحدًا، لذلك حذره والده من كل إنسان، ولم يوافق على سكنه في المدينة الجامعية أو سكن جماعي، واختار له شقة له وحده قريبة من الكلية في الأزاريطة، وكان يداهمه بزيارات مفاجئة حتى يطمئن على سلوكه، وكان عزمي مثالًا للأخلاق الحميدة كما رباه والده، مما جعل والده بعد ذلك يقلل من زياراته لابنه خاصة بعد ما أثبت تفوقًا وجدية، فقد كان ينتقي أصحابه بدقة، وتمت فرحة عزمي الكبرى عندما عين كمعيد في كلية التجارة، وفي كل مناسبة مبهجة كان يأتي إلى الشاطيء ليشاركه أفراحه، وعندما كان يريد اختيار قرار ما، أيضًا كان يأتي إلى البحر ليصفو ذهنه، ويختار ما هو أقرب إلى الصواب، تذكر يوم أتى إلى البحر ليفكر في الارتباط بسلوى، زميلته في الجامعة. لقد لفتت انتباهه بأناقتها وحسن اختيارها للألوان، وجمالها الهاديء فقد كانت خمرية اللون، مستقيمة الأنف، دقيقة الملامح، رقيقة الصوت، ترتدي حجابًا صغيرًا، وتضع لمسات خفيفة من مساحيق الزينة، وهي لا تكلم الشباب، مهذبة، ومجتهدة وذكية، وسوف تناقش رسالة الماجستير قريبًا.

عندما طلب عزمي من شئون الطلبة رؤية الاطلاع على ملف سلوى، وعرف عنوانها وتليفونها، اتصل بوالدها، وعندما علم المشرف بارتباطهما، نصحه أن لا يتسرع، وقال له: كل إنسان له



نصف آخر لا يستطيع أن يستغنى عنه، فانتظر حتى تقابله، أنا مثلًا تزوجت زواجًا تقليديًا، ووجدت نصفي الآخر فى الخمسين من عمري، هل تصدق هذا؟ فاضطررت للزواج العرفي، حتى لا تحدث مشاكل فى بيتي، ثم ضحك وقال له: على العموم، الزواج أفضل، فربما تجد النصف الآخر عندما تبلغ الثمانين. وضحك عزمي على هذه النكتة مجاملة لأستاذه، وإن كان احتقره بينه وبين نفسه لزواجه العرفي بعد هذه السن.

وعندما علم والد عزمي بعزمه على الزواج، زار عائلة سلوى واطمأن على حسن الاختيار، و قدم له ما يعينه، واستأجر عزمي بيتًا جميًلا به حديقة صغيرة في فكتوريا، مما أدخل السعادة على قلب سلوى، وأوصت عزمي بالإتيان ببستاني للعناية بالحديقة.

الزفاف



عندما ولدت سلوى ابنتها فايزة، لم تعترض على الاسم برغم امتعاض أمها منه، فهي أرادت إرضاء زوجها الذي اختار اسم أمه، وقالت لأمها: يارب تكون فائزة في حياتها، أحست سلوى بإحساس جديد طرأ عليها، فهي تخاف وتحب هذه المخلوقة أكثر من نفسها، ثم دمعت عيناها عندما تذكرت ما حدث لها من هيثم، وسألت نفسها: هل ستتعرض ابنتها لهذه الأشياء المؤلمة في حياتها، ثم قالت: لا.... لن أسمح لها بالحديث إلى الشباب،لا وحدها

ولا في مجموعة، ثم فكرت هل ستراها وهي عروس، هل سيكون حفل زفافها مثل زفاف أمها؟ لا.... بالطبع ستكون أفضل، هكذا استرسلت سلوى، ثم تذكرت حفل زفافها، وكيف حددت ميعاد الزواج بعد الانتهاء من مناقشة الماجستير، فليس هناك داع للعجلة، لقد انتهى زمن العواطف الهادرة، فتجربتها مع هيثم جعلتها تفكر في كل شيء، وتهتم بالمظاهر فربما زهد فيها هيثم عندما لاحظ لهفتها عليه، وخاصة عندما استرجعت شكل خطيبته، فلقد قابلتها بدون تدبير منها في كافيتريا الكلية وكانت تبحث عن مقعد، فعرضت عليها مقعدها لأن لديها محاضرة، فسألتها عن كليتها فعرفت أنها طالبة في كلية التربية، وعندما علمت أن سلوى في كلية التجارة، في السنة الرابعة، ابتسمت، وسألتها عن طالب اسمه هيثم، وعن سلوكه في الكلية مع زميلاته، فسألتها عن السبب، فقالت لها: إن خالته جارتي وهو تقدم لي ليخطبني، ولكنني رفضته لأنه يحب معاكسة البنات، وغير متزن، لم تلتفت سلوى لهذا الكلام وقتها لأن هيثم كان يظهر اهتمامه بها فقط حتى لاحظ كل أفراد الشلة ذلك، والبنات خيالهن واسع وربما يكذبن الكذبة ويعشن فيها حتى تستطيع الحياة بشكل جيد، ثم كانت الصدمة عندما قال إنه سيخطبها حقًا، ولكن بعد انتهاء السنة الدراسية وعدم حاجته إلى سلوى. فاستعادت سلوى صورة خطيبته، لقد كانت فطساء الأنف، لهجتها تدل على أنها من بيئة أقل من المتوسطة، ملابسها غير لافتة للنظر، ولكنه كما يبدو أحب رفضها له، واستهانتها به.



اختارت سلوى فندق المحروسة لإتمام حفل الزفاف، واختارت كل شيء بعناية: ثوب الفرح الذي استغرق شهرًا في تطريزه، والمجوهرات الرقيقة التي اختارتها من محل والدها بعناية وذوق راق، والمساحيق المستوردة... إلخ، وعلى أنغام الموسيقى الهادئة لفت انتباه عزمي فتاة في حوالي الخامسة عشرة من عمرها، جمالها لافت للنظر، بيضاء، دقيقة الملامح، وشعرها أسود ناعم طويل، وترتدي ثوبًا أبيض مطرز رقيق فبدت كالملائكة، لاحظت سلوى انبهار زوجها بعلية، ولكنه لم يسألها عنها، ولكن سلوى لم تكن تشعر بالغيرة منها فلقد رأتها طفلة صغيرة، وكانت سلوى في نفس الوقت لا تعاني من الشعور بالنقص، فهي تعلم أنها لا تخلو من جاذبية وجمال، وعندما سلمت عليهما، قدمتها له قائلة: ابنة خالتي علية، لاحظت سلوى وهي جالسة وجوه الأقارب بوضوح، فوالدها بدت على وجهه الفرحة التي قلما تراها على وجهه، بسبب إعاقة أخيها سمير العقلية، كان في السادسة من عمره الآن، وارتدى ملابس أنيقة من اختيار سلوى، وكان مكتئبًا من حرمانه في ذلك الوقت من ألعاب الكمبيوتر وهو يرتدي هذه الملابس الخانقة، أما أمها فقد ارتعشت عضلات وجهها عندما رأت علية ابنة أختها، لا تعرف سلوى لماذا؟ مع أنها كان يجب أن تعطف على ابنة أختها اليتيمة، هكذا فكرت سلوى، ولكن يبدو أن أمها كانت تخشى من نظر عزمي لعلية برغم أنها طفلة، وأما صديقتها رحمة فقد ابتسمت لها ابتسامة مفتعلة، لا تعلم سببها، ربما كانت متضايقة من ثوبها الضيق، والشفاف عند الرقبة والذراعين بالرغم من النصائح التي نصحتها لها قبل العرس،

بالاحتشام، أما عائلة العريس: والده ووالدته وإخوته وأعمامه الذين كانوا من أعيان بني سويف فقد بدا عليهم الهدوء والوقار. وتمنت سلوى لو كان لها أخت تشاركها الفرحة، ولكنها كانت وحيدة.

بعد الزواج زارتها علية مع أخيها الصغير أحمد و زوجة أبيها درية، وزارهم الشيخ محمود أخو عزمي الأكبر وزوجته؛ وكانت فرحة عزمي به لا توصف عندما علم أنه سيستقر في الإسكندرية، وسيعمل مدرسًا في معهد ديني، وحمد الله فالآن أصبح له عائلة، واستأجر أخوه شقة بجوار أخيه.

النصف الآخر

أنجبت سلوى بعد فايزة عمر، وسارت الحياة هادئة، ولكن أحيانًا كانت تحدث مشاجرات خفيفة، وكان عزمي أثناء المشاجرات لا يطيقها، فيتذكر كلام أستاذه: نصفك الآخر لا تستطيع أن تكرهه أبدًا مهما حدث. أما سلوى فقد حرصت على بيتها، وأخضعت كل شيء للمنطق، فلا مجال للعواطف فحملت د. عزمي مسؤولية البيت حتى لا يكون لديه وقت للتفكير فى امرأة أخرى، فتدبير المنزل من اختصاصه، وهى عليها الإشراف على الشئون المنزلية بمساعدة شغالة، حتى تتفرغ لعملها ولأناقتها، وكانت تحرص على معرفة أخباره يوميًا، ودائما تشعره بطريقة خفية أنها تفضلت عليه بالزواج منه؛ فكل الرجال يتمنون رضاها.



ساعدت أم سلوى ابنتها كثيرًا أثناء الدراسة حتى توقعت سلوى الانتهاء من الدكتوراه في وقت مبكر، حتى رقدت أمها في الفراش، وعانت سلوى بسبب ذلك، فكانت تذهب إليها دائماً للاطمئنان عليها ورعايتها حتى توفيت، فمكثت مع والدها وأخيها سمير لرعايتهما بعض الوقت، بعد ذلك تزوج والدها، وأصبح سمير يكثر من الذهاب إليها، وخاصة إذا تعطل جهاز الحاسوب الذي كان مولعًا به، وإذا احتاجت سلوى الحاسوب كان سمير لا يكف عن الكلام، فيحكي ما يعانيه من عدم وجود أصحاب له، وابتعاد أولاد الجيران منه، ووجوده في مدرسة بها بعض المخابيل، ورحيل أمه، وما يلاقيه من استغلال سائقي التاكسي الذين يظنونه متخلفاً عقليًا، وإن كان يعرف عد النقود والذهاب إلى النادي وإلى أخته وحده، والشراء وفهم الأخبار السياسية، وأشياء أخرى كثيرة.

حصلت سلوى على الدكتوراه وعينت في الجامعة مع عزمي، واهتمت بفايزة وعمر اهتمامًا بالغًا حتى التحقت فايزة بكلية الطب، وعمر بكلية الآداب، واطمأنت سلوى وعزمي على مستقبليهما، ثم عين عزمي عميدًا للكلية، مما يسر له فيما بعد التوسط لعمر في العمل في مكتبة الإسكندرية، وأتى أخوه الشيخ محمود لتهنئته. لم يتغير الشيخ محمود منذ أن استقر في الإسكندرية، فملابسه ظلت كما هي، الجلباب والعمامة.



سمير



جلس سمير أمام جهاز الكمبيوتر يكتب في أحد المنتديات: لا أعلم لماذا ليس لي أصدقاء، أنا وحيد، كنت وأنا صغير أذهب إلى مدرسة كل من فيها أغبياء، لا أحد يفهمني، أحيانًا يضربونني، أحيانًا يريدون مني أن آكل الورق! مخابيل هم، لا أعلم لماذا خلقني الله في هذه الحياة المؤلمة؟

أجلس ساعات تلو الساعات أمام جهاز الكمبيوتر لأشكو همي إلى الناس في المنتديات، أريد صديقًا.

انهال الأعضاء في المنتدى بالرد على سمير بكلمات رقيقة ليخففوا عنه معاناته. فابتسم بسعادة، سألوه لماذا ليس له أصدقاء، فقال لهم: لا أعلم كلما قابلني إنسان بعد عرضي الصداقة عليه يوجه إلي كلمات رقيقة ثم يختفي لا أراه مرة أخرى، لا أعلم لماذا؟ سأله أحد الأعضاء: أنا أقبل بمقابلتك، في أي كافيه نتقابل أو نادي؟ فرد سمير: لا أريد مقابلة أحد، أريدكم أصدقاء في المنتدى فقط، لا أريد تكرار هذه التجربة المرة، أحب أن تكونوا بجانبي هنا فقط، فانهالت الكلمات الرقيقة على سمير وأحس بالدفء والسعادة من وجود هؤلاء الناس بجانبه، وأصبحت متعته الحديث إليهم كل يوم، رن جرس الهاتف، كانت أخته الدكتورة سلوى تطمئن عليه قبل النوم، وعلى والده.





مؤامرة



رن جرس الهاتف طويلًا، ولم يرد أحد فقد كان عزمي خارج الصالون؛ ثم عاد الاتصال مرة أخرى، فطلب عزمي بصوت عال من أخيه الرد وهو يسير في الردهة الموصلة إلى الصالون، فرفع الشيخ محمود سماعة التليفون، وقبل أن ينطق، سمع رجلًا يقول: العبيط موجود؟ فقال له: النمرة غلط يا افندم، ووضع السماعة، واستغفر الله على ابتسامة لاحت على شفتيه رغمًا عنه، فسأله أخوه د. عزمي، وكان قد دخل لتوه حجرة الصالون، فقال له ما سمع بتلقائية وهو يظن أن أحد السفهاء يستظرف، فبدت على وجه أخيه مظاهر القلق، ثم أخذ يلعن ويسب شخصًا ما؛ لا يعرفه الشيخ محمود، ثم بدأ يهدأ رويدًا رويدًا، ثم قال لأخيه: إنهم بعض الزملاء فى الجامعة؛ فمنذ أن عينت عميدًا للكلية وهذه المكالمات لا تنقطع، إنهم يريدون زعزعة ثقتي بنفسي، فضحك الشيخ محمود، وقال له: طالما أنك تعرف ذلك لماذا تثور هكذا؟ فلتبتسم يا أخي ولا تحزن، فلا يفعل مثل هذه الأشياء إلا السفهاء، دع أذاهم، وتوكل على الله، سكت د.عزمي وهو يغلي من أخيه، فهو هاديء الطبع لدرجة البرود، وأحيانًا البلاهة والعته هكذا رآه، وليس لديه إلا جملة واحدة يرددها في كل مناسبة: توكل على الله، إنه يذكره بالدراويش الذين لا يفكرون فى أي شيء، فاستأذن من أخيه بحجة الإتيان ببعض المشروبات،



ثم ذهب إلى زوجته د. سلوى يحكي لها ما حدث ليبحث عن حل لديها، فقالت له: أنت تشك فى د. شوقي أليس كذلك؟ قال لها: نعم، إنه أكثر من أظهر لي العداء والحقد عندما تم تعييني، وقد قال لى د. طاهر إن أحدهم قال إننى لا أستحقها، وأن السبب وراء تعييني هو علاقاتى المشبوهة بأمن الدولة، وإننى أظن أن الذى قال ذلك هو د. شوقي، فقالت له: إذن عليك بتأديبه حتى يلزم حدوده، فقال لها: كيف؟ فقالت: سأخبرك بعد انصراف أخيك، ارتاح د. عزمى، وقال لنفسه هكذا يكون الكلام، سوف أنتقم من هؤلاء البقر الأغبياء.

وداع

فى هذا الوقت كانت فايزة الطالبة بكلية الطب ابنة د. عزمي مستغرقة فى تأمل عم حسن وهو يروي حديقة المنزل الأنيقة، والتى حرصت د. سلوى على العناية بها، كانت فايزة تشبه أمها بجمالها الهاديء، وبشرتها الخمرية، وبأناقتها البسيطة، وحسن اختيارها للألوان، وورثت من أبيها طول القامة، كانت سعيدة في هذا اليوم أكثر من الأيام السابقة، بعد موافقة أمها أخيرًا على الذهاب في رحلة إلى القاهرة مع زملائها وخاصة أن وائلًا سيكون معها، هي لا تحدثه أبدًا وحدها ولا في مجموعة كما أوصتها والدتها، ولكن ربما في المعمل تحتاج إلى سؤاله عن بعض الأشياء المتعلقة بالتجارب إذا كان قريبًا

منها، ولم تتعمد ذلك، لكنه قابلها وحدها أمام الجامعة فاستغل الفرصة وسألها عن رأيها فيه، لأنه يريد التقدم لخطبتها، كان جادًا وسألها إن تقدم لها هل ستوافق؟ فطلبت منه الحديث مع والدها، فأخبرها برفض والده الخطوبة رسميًا أثناء الدراسة، لذلك أراد أن تنتظره، فأمهلته لتأخذ رأي والدتها التي أصرت أن يأتي مع والدته إلى البيت ليثبت حسن النية، وطلبت من فايزة عدم الحديث معه أو الخروج حتى الانتهاء من الدراسة، وأخبرت فايزة وائلًا برأي والدتها، فاتفق مع والدته أن تزور والدة سلوى للتعارف، فرحبت بها وخاصة أن وائلًا متفوق، وهو الأول دائمًا على زملائه، وغيرت سلوى رأيها عندما رأت وائلًا وأمه، فهو مختلف تمامًا عن هيثم، صريح ومستقيم الخلق ومتفوق، وأمه سيدة يبدو عليها الطيبة، ولقد وعدتها أمه بزيارة والده لهم بعد التخرج، ولم يبق سوى عامين، والمذاكرة سوف تشغلهم، كانت لكنة وائل غير عربية، لأنه تربى ونشأ في بلدة أجنبية، انتبهت فايزة فجأة من أفكارها وأحلامها بوقع أقدام قريبة منها فالتفتت، فرأت علية ابنة خالة أمها، شابة في الثامنة والثلاثين على قدر كبير من الجمال، وكانت قد أخفت شعرها الطويل الناعم تحت حجاب صغير أنيق أحمر اللون، يبرز جمال وجهها الأبيض وملامحها الدقيقة، وكانت فرحة رغم ما مر بها من أحزان، ولكنها لم تشأ السفر إلى إنجلترا بدون وداع ابنة خالتها، كما أوصتها حماتها رحمها الله والتي كانت الأم الروحية لها: سلمي على أقاربك ابتغاء الأجر والثواب، والناس ليسوا ملائكة، وأنت مسافرة؛ الله أعلم ربما لا ترينهم مرة أخرى، وكانت خالتها أم د.

سلوى قد توفيت، ولم يبق لها إلا ابنتها د. سلوى، فحيت فايزة علية بحفاوة، وكانت قد رأتها في حياتها كلها مرة واحدة حين سافرت أول مرة وأتت لتوديعهم، كانت فايزة صغيرة في ذلك الوقت، ولكنها لم تنسها وخاصة أنها لم تتغير، ولوجود صورتها ضمن صور العائلة التي تحب مشاهدتها دائمًا، ولا تمل من ذلك، ثم دعتها داخل المنزل وأسرعت تخبر والدتها بمقدمها، فاندهشت لزيارتها لطول ابتعادها عنها ورغم ذلك تأتي لزيارتها، حيت سلوى علية بخجل لعدم سؤالها عنها أو مراسلتها طوال سفرها، ومن جراء أيضًا ما فعلته والدتها معها؛ حيث رفضت مساعدتها في محنتها ولم تساندها، وظنت سلوى للحظة أن علية أتت لتريها بأن الله قد عوضها خيرًا، ولكن وجه علية البريء لم ينم على ذلك، بل لقد عاتبتها برقة على عدم مراسلتها الفترة السابقة، وكانت أكثر من عشر سنوات، وأكدت لها أنها ستنتظر خطابات منها، وأنها تود معرفة أخبارها. ولكن رغم ذلك لم تراسلها سلوى لأنه من غير المعقول أن لا تشعر علية بالمرارة من جراء ما حدث، وسوف تتذكر مأساتها رغمًا عنها كلما رأت سلوى، ففضلت أن لا تراسلها.

علية

ودّعت علية أيضًا جارتها منى صديقة الطفولة والشباب ووالدتها، وسافرت مع أخيها أحمد فقط، وتذكرت أول مرة سافرت

فيها عندما أصرت منى وأمها على توصيلها إلى المطار، وكانت معهما والدة زوجها السيدة خديجة رحمها الله، ومن المضحك أنه أتى أيضًا معها زوجة أبيها درية التي أصرت على السفر معها من الإسكندرية إلى القاهرة، خوفًا على مظهرها أمام الناس، وأيضًا سافر معها والدها، أما الآن فوالدها مريض وزوجة أبيها شق عليها السفر، ولم يأت معها إلا أخوها أحمد الذي كبر وأصبح رجلًا، ويحاول أن يعوضها عن تقصيره معها حينما كان لا حول له ولا قوة، وكانت أمه هي المسيطرة التي تسببت في إيذائها. في الرحلة الأولى جلست علية بجانب منى تثرثران معًا طوال الطريق، وكل واحدة منهما تتحدث عن أحلامها، حيث كانت منى مخطوبة لإبراهيم وعلى وشك الزواج، بينما شعرت علية بالألفة والأمان، وأحست بأن الله عوضها خيرًا، وحلمت بمستقبل آمن. أما في هذه الرحلة فقد كانت قلقة بخصوص حالة والدها، ولكن أخاها طمأنها بأن حالته مستقرة، وأنه سوف يرعاه بنفسه، فاطمأنت.

انتقام

فى الجامعة عندما علم د. شوقي بتأخره عن الترقية وتقديم غيره لتولية رئاسة القسم، اشتكى إلى رئيس الجامعة فلم يهتم بشكواه؛ حيث قدم إليه د. عزمي تقريرًا بأن د. شوقى لا يعتمد عليه وشيوعي الفكر، وأحس د. عزمي بالانتصار، وقال فى نفسه: لقد

نال ما يستحق، وأصبح هو العبيط وليس أنا، ولكن لدهشة د. عزمي اشتدت المكالمات التليفونية التى تسىء إليه. فاتصل بأخيه محمود ليشكو له، فلم يجده كان يزور جاره بنيامين المريض، فزاد غضب عزمي، وقال لنفسه: ألم أحذره من زيارة هذا الملعون؟ وكان يهوديًا لم يهاجر مع من هاجر إلى إسرائيل، حيث كان يرفض الهجرة، ويقول دائماً لجاره الشيخ محمود في كل مناسبة يجتمعان فيها: كتب علينا الشتات فلماذا نهاجر ونعترض على أمر الله؟ وأنا هنا آمن.

حرص الشيخ محمود على تدوين تواريخ أعياد اليهود حتى لا ينسى تهنئة جاره، أما عزمي فلم يكن يحب اسم بنيامين لأفعالهم في فلسطين، لذلك أول ما اتصل بأخيه أنّبه على زيارة بنيامين، وقال له: ألا تخاف منه؟ إنهم خونة، فربما وهو يأكل معك يدبر لخطف ابنتك، فيضحك الشيخ محمود، ويقول له: إنه طيب يا عزمي، مسالم، لا يقاتل المسلمين، ولا تزر وازرة وزر أخرى. ثم اشتكى له من المكالمات الغامضة، فقال له: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ثم تنهد وقال له: توكل على الله، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فقال له: معك حق، ولم يحك له بالطبع ما فعله، ولكنه بينه وبين نفسه عزم على أن يصالح د. شوقى، ويبدأ معه صفحة جديدة لأن الانتقام لم يزد الطين إلا بلة، وقال لنفسه: ربما لم يكن هو، ثم اتصل بالدكتور طاهر، وقال له إن تليفونه

مراقب بعد أن بلغ عن المضايقات التى تأتي إليه، ومن ساعتها ولم يتلق مثل هذه المكالمات، فتأكد أن صاحب المكيدة هو د. طاهر، وصمم د. عزمي على الانتقام من د. طاهر فى حينه.

نجاح



تخرجت فايزة من كلية الطب، وتخرج أخوها من كلية الآداب، وتمت فرحة الأسرة بهذا النجاح، ولم يعكر صفو هذا النجاح إلا مشاكل د. عزمي فى العمل التى جعلته أكثر قلقًا، ولكن تقدم وائل لفايزة رسميًا جعل توتر د. عزمي يرحل بلا عودة، فلقد كان خال العريس وزيرًا للداخلية.

عرف د. عزمي جيدًا كل ما يتعلق بوائل من زوجته، ومن سؤاله عنهم، وإن تظاهر أمام والد العريس ووالدته أنه لا يعلم شيئًا عنهم، وطلب منهم ترك مهلة للسؤال والتفكير، في الواقع لم ينم عزمي من الفرحة؛ فسوف يعمل له الناس ألف حساب قبل الحديث معه، ولكن من شدة تفكيره فى نفسه نسي تبعات هذا الزواج، فإن الثمن كبير جدًا، ولابد أن يكون الجهاز لائقًا بهذه العائلة، فطار النوم من عينيه ونهض من سريره وخرج إلى الشرفة، وأشعل سيجارة وهو يفكر، من أين سيشترى الأثاث؟ ثم اهتدى إلى فكرة بيع أرضه التى ورثها من والده حتى يشتري جهازًا لائقًا، فى اليوم التالى



اتصـل د. عزمي بابن عمه وصديقه المخلص الحاج فوزى ليستشيره فى شئون الجهاز ويسأله عن معارفه من التجار ليشتري كل شيء بأرخص من ثمنه بقدر الإمكان. وكان له نعم المعين، فلقد كانا صديقين وزميلين، ولكن د. عزمي استمر فى دراسته بينما توقف الحاج فوزى عند الإعدادية، التي لم يستطع اجتياز الامتحان بعد محاولات عديدة، ولكنه نجح في التجارة، حتى أصبح مالكًا ومديرًا لمصنع ملابس.

باع د. عزمي أرضه، ونصحه أخوه الشيخ محمود أن يعدل بين فايزة وأخيها عمر حتى لا يزرع الكراهية بينهما، فقال له: أنتهي أولًا من زواج فايزة، ثم سأساعد عمر فيما بعد؛ فهو شاب وأمامه العمر، ولابد أن يضحي من أجل أخته، وأنت تعلم أنه هادئ وطيب القلب ولن يتضايق. ولم يستطع الشيخ محمود إقناعه.

كان الشيخ محمود مختلفًا عن أخيه، فكان كل همه هو ختم القرآن كل أسبوعين، وصلاة قيام الليل بانتظام، فيقوم من نومه فزعًا قبل أذان الفجر بساعتين خوفًا من فوات متعة مناجاة الله فى هذا الوقت وقراءة القرآن والصلاة، ومحاولة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ودائما كان يحسن الظن بالناس، وعمل على تحفيظ بناته الثلاث القرآن الكريم كله، وكلما ختمته إحداهن قال لها جملته المعهودة: هذا خير لك من الدنيا وما فيها فتمسكى به.





عودة



علمت علية بانتكاس حالة والدها، فاستعدت للسفر وتركت ابنتها ياسمين مع والدها مضطرة حتى لا تنقطع عن المدرسة، وفي الطائرة استعادت علية حياتها كلها منذ وفاة والدتها الحنون وهي صغيرة، ثم زواج أبيها بامرأة ناعمة كالحية، تفعل كل شيء بدون ضجيج، مما يجعل علية تخسر دائمًا، حيث تظهر علية انفعالاتها، كانت علية تحب المذاكرة، مما يغيظ درية، ويجعلها دائمًا تطلب منها القيام بالأعمال المنزلية، وإطعام أخيها الصغير أحمد، وتوصيله إلى النادي، وكانت تتفنن في أساليبها لإبعادها عن المذاكرة، ورغم ذلك التحقت بكلية التربية فازداد حقدها عليها؛ وخاصة أنها رسبت في الثانوية العامة عدة مرات، ورفضت أن تشتري لها ملابس جديدة بحجة خوفها عليها إذا تزوجت، حتى تشتري الجهاز، وصدقها والدها وأوصاها بها خيرًا، وعندما اشتكت له من سوء نيتها، أنبها بلطف قائلًا: لا تظني سوءًا بها، فهي تريد مصلحتك، ونجحت علية في أول عام بتقدير جيد جدًا، وحزنت بشدة لأنها أحست بأن ظروفها السبب في أنها لم تحصل على إمتياز، مما جعل درية تكثف المضايقات في العام الثاني فقل تقديرها إلى جيد، فاشتكت إلى والدها، فطلب من درية ترك علية لتذاكر، فقالت له بنعومة: أنت مصاب بالقلب،



وإذا مرضت لن يخدمك غيري لأن علية سوف تتزوج إن عاجلًا أو آجلًا، لذلك أطلب منها المساعدة حتى لا تهلك صحتي، اهتم أنت بصحتك ولا تشغل بالك بمثل هذه الأشياء، ثم تلوم علية وتصفها بالقسوة لأنها لاتخاف على والدها المريض، فلجأت علية لخالتها والدة سلوى، وكانت خالتها تكره أختها أم علية بسبب زوجها (والد علية) الذي تعرف عليها عند إحدى صديقاتها، وأبدى لها الرغبة في الارتباط بها، ثم أتى إلى منزلهم وطلب الزواج من أختها التي كانت أجمل منها، لم يدر والدها بأن هذا العريس فاتح ابنته الأخرى بالرغبة في الزواج منها، وبعد ما سأل عليه وافق عليه، ولم تنطق أختها وكتمت حزنها، وعرفت والدة علية ذلك بعد الزواج، عندما اشتكت لصديقة لها من غيرة أختها الشديدة منها وعدم زيارتها لها، فأفشت لها الخبر، فقد كانت والدة علية ووالدة سلوى توأمين، وكان لهما نفس الصديقات، وأدركت والدة علية وقتها لماذا دخنت أختها سيجارة في دورة المياه، لقد دخلت دورة المياه بعدها فوجدته مليئًا برائحة الدخان، وكانت صدمة بالنسبة لها، وهددتها بأن تقول لوالدها ما حدث إذا تكرر ذلك منها، ولم تنطق أختها، فهي تعلم تمامًا ماذا سيحدث لها من أبيها إذا علم ذلك، إنها مصيبة أن تدخن فتاة في العائلة، فهذا لم يحدث أبدًا، وبعدما عرفت أم علية السبب مرضت، ولكنها كتمت أحزانها خوفًا على والديها، وعاشت مع زوجها وهي متأثرة بما فعل، وندمت على قسوتها على أختها،

فهي لم ترحمها، ولم تشفق عليها، ولم تسألها عن سبب ذلك، وإنما هددتها، يالها من قاسية! ولم ترحم تكرار خطبتها ومرورها بتجارب عديدة من سوء الحظ مع العرسان، وعدم الزواج إلا في سن متأخرة، وأصبحت تذهب دائمًا إلى مسجد ملاصق لبيتها، وتختار المكان المقابل لنافذة المسجد التي تسدها أغصان شجرة هائلة وينبعث منها تغريد العصافير، فتسند ظهرها على الحائط المقابل للنافذة، وتتنفس بعمق وتستغفر الله على قسوتها، ظلت مشغولة بالاستغفار من ذنبها حتى فوجئت بحملها بعد سنوات طويلة من الزواج، فلقد تزوجت والدة علية قبل أختها بسنوات ولكنها تأخرت في الإنجاب كثيرًا، وكانت تشعر بفرحة أختها لذلك وكأنها تشفي غيظها منها، وقبل مماتها أوصت علية بتحمل خالتها، وحكت لها ما حدث لتعذرها إن قست عليها، ولم تجرؤ علية على الاعتذار لخالتها أو قص ما حدث لسلوى؛ وبالتالي لم تشاركها خالتها أحزانها، ولكن نصحتها بالتأقلم مع ظروفها، وسياسة درية بحاضر ونعم، ولم تجد علية ملجأ يريحها من عنائها إلا الذهاب إلى المسجد والجلوس في نفس المكان التي كانت تجلس فيه أمها وتقرأ القرآن، وأحيانًا تذهب إلى منى جارتها وصديقة الطفولة، وكانت والدة منى تحيك الملابس للعائلة وتعرفهم جميعًا... والدتها وجدتها رحمهما الله وخالتها، وكانت منى في سن علية ولكنها لم تكن تحب الدراسة واكتفت بالشهادة المتوسطة، وكان كل اهتمامها بالملابس والمساحيق والزينة، وكانت تساعد أمها في الحياكة



بعد وفاة والدها للمساعدة في نفقات البيت، لم تغار منى من علية لذلك ظلت العلاقة بينهما جيدة، فعلية تشعر بالتفوق، وبأنها أفضل دراسيًا، ومنى تشعر بتفوقها في فن التعامل مع الناس، ومهارتها في الحياكة، حتى حققت نجاحًا كبيرًا في التفصيل، مما جعلها أكثر ثقة بنفسها، وخاصة أنها أصبحت تقضي إجازتها السنوية في شرم الشيخ أو الغردقة ثم تطور الأمر إلى السفر إلى لبنان وتركيا، مما جعلها تشعر بالتفوق على خريجات الجامعات اللائي لايستطعن الذهاب إلى هذه الأماكن بمرتباتهن، وبالرغم من جمال علية فإن منى كانت أكثر جاذبية منها بظرفها. كانت منى وأمها يحبان المرح، ومساعدة الناس بالكلمة الحلوة التي تأسر القلوب، ونصحت أم منى علية بأن الحل الوحيد هو الزواج بعد التخرج مباشرة، وتزوجت علية بسرعة، عن طريق والدة منى، فلقد رأتها إحدى السيدات التي تفصل ملابسها عند منى، وزوجتها لابنها المقيم في لندن، وتم الزواج عن طريق الصور، وحدثها تليفونيًا عدة مرات، وعندما هبطت مطار لندن وهي تبحث عن محمد كما رأت صورته، عرفها على الفور، وإن أكد لها أنها أجمل من الصورة كثيرًا، ولم تفكر في العودة إلاعندما بدأ أخوها أحمد يكتب لها الرسائل تلو الرسائل؛ يعتذر لها بأنه كان صغيرًا فلم يساندها، وطلب منها التماس العذر لوالدهما لمرضه، فأتت لزيارتهما الأولى بعد أكثر من عشر سنوات، ثم هاهي تزورهم للمرة الثانية، وقد عرفت أن فايزة تزوجت وكذلك أخوها أحمد.



بيت العنكبوت

منذ أن بدأ د. عزمي فى تجهيز فايزة، لم يعد عمر يتحدث كالمعتاد ولكن لم ينتبه إليه أحد؛ فالكل سعيد بالنسب الجديد، ومشغول بترتيبات الفرح، والتأكيد على الأقارب بأن يهتموا بملابسهم أكثر من المعتاد فالوزير سيأتي لا محالة، ثم أصبح عمر لايتناول الطعام معهم، ثم بدأ يدخن أمامهم بشراهة ولامبالاة، فلم ينطق والده، فالآن عمر يعمل وليس صغيرًا. حرص د. عزمي على دعوة د. طاهر، ثم اتصل بأخيه الشيخ محمود، وعندما رن الجرس كان يقرأ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾.

وعندما دعاه لحفل الزفاف سأله عن عمر، فقال له: بخير، فنصحه برعايته لأن التغيرات التى ظهرت عليه لا تخفى على أحد. فشعر د. عزمي بالضيق من أخيه، وأحس كأنه يستكثر عليه فرحته، ويريد له الغم، فأنهى المكالمة بسرعة، ثم دخل حجرة عمر، فوجدها ممتلئة برائحة الدخان، ثم نظر إليه وكأنه يراه لأول مرة، لقد تغير عمر كثيرًا، لقد أطلق لحيته، فسأله برفق هل به شيء يقلقه فهو قد يساعده، فقال له: لاشيء. أدرك د. عزمي أن أخاه على حق، كيف



لم يلحظ ذلك، فأسرع يتصل بأخيه، لم يكن د. عزمي يحب حلول أخيه، ولا طريقة تفكيره، كان يحب فقط اللجوء إليه ليريح أعصابه، ليحكي له أدق مخاوفه، وهو يدرك تمامًا أنه لن يفشى سره أو يعيب عليه نقاط ضعفه، فهو يسمع ويسمع ثم ينصح برفق. وإن كان لايأخذ بحلوله ولايقتنع بكلامه، كان الشيخ محمود يقرأ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ رن جرس التليفون، فرد عليه د. عزمي: ما سبب تغير عمر إلى هذه الدرجة؟ معك حق، فقال له: ليس الموضوع فى حاجة إلى سؤال يا عزمي، فهو يريد حقه مما تنفقه ببذخ على أخته، وأظن أنه يحب فتاة، ويود الارتباط بها، ويشعر بالخجل للمطالبة بحقه. فقال له: لا يزال معي بعض المال، وسأعوضه فيما بعد، ولم يكن أمامي خيار آخر.

بعدما أغلق د. عزمي الخط سألته سلوى: هل أكدت عليه أن يأتي بحُلَّة؟ فقال لها: لا... لم أستطع، لا أعرف لماذا؟ لم يخرج الكلام من فمي، وأرتج علي، فليلبس ما يشاء.

اكتئاب



تم الزفاف فى الشيراتون، وحضر وزير الداخلية، ومعه حراسة مشددة، ونسى د. عزمي ابنه عمر وهو يرى الرهبة فى وجوه زملائه



وخاصة د. طاهر، أما د. سلوى فلم تستطع الابتسام بسبب ما حدث لعمر من اكتئاب، وجاهدت نفسها حتى تخفي انكسار قلبها، فهي تخشى من تطور حالة ابنها، وعندما لاحظت نظرات الدهشة من المدعوين لحالها، وعدت ابنها بعيدًا عن أعين المدعوين خارج القاعة ببيع مصاغها ليخطب من يشاء، ووعدته بالمساعدة، فقال لها: وهل سيكفي هذا المبلغ ثمن شقة و شبكة؟ فقالت له أمه: العمر أمامك طويل، ونحن سنساعدك، فلم يعد لدينا شاغل غيرك، فقال لها: العمر أمامى طويل ولم يكن طويلًا أمام فايزة؟ فقالت له: قل يارب، فقال لها: سنبدأ فى كلام عمي محمود، كلام ليس منه طائل، ولماذا لم تقولوا في زواج فايزة: يارب؟ وهل سيوافق أهلها على هذا الكلام؟ فقالت له: لو هى تحبك حقا ستوافق، لم يقتنع عمر بكلامها لأنها لم تطبقه على فايزة، ولكنها عندما قالت له إنها ربما تسافر إلى بلد عربي مما ييسر له ما يريد، شعر ببعض الراحة.

نهى

لم تضيع سلوى وقتًا، فحالة عمر لا تحتمل التأخير، سألته ليحدد ميعادًا مع من يريد خطبتها، وأبدت له استعدادها التام لمساعدته، فابتسم وقام من فوره فحلق ذقنه، وبدأ يعود إلى حالته الطبيعية، وفي اليوم التالى حدد عمر ميعادًا مع نهى لزيارتهم وتمت



الخطبة، بعد الخطبة، بدأت نهى تطلب المزيد من الهدايا، ود. سلوى إرضاء لابنها لم تبخل عليها قدر الاستطاعة، ثم اشترت شقة صغيرة بالكاد ووعدت والد العروس بتغييرها فى أول فرصة ووافق على ذلك، ثم زارت نهى ووالدتها فايزة في شقتها الفاخرة، وبعدها توالت الأحداث سريعًا حيث أتى ابن خالة نهى المهاجر من أمريكا، وأصبحت تخرج معه كل يوم هي وأمها، وكان عمر غير قلق لأن ابن خالتها كان يصطحب خطيبته معهم دائمًا وكان عاقدًا زواجه بها وعلى وشك إتمام الزواج، لذلك عندما تركته نهى، وخطبها ابن خالتها كانت صدمة مروعة، ولم يقل إلا كيف؟ كيف؟ وعاودته حالة الاكتئاب وكره أمه وأباه وفايزة، وعبثًا حاول عمه إقناعه بأن السبب هو القسمة والنصيب، وأنها لم تكن تصلح له، وأنها جشعة، وسوف يعوضه الله خيرًا منها، فهو يعمل في مكتبة الإسكندرية وليس عاطلًا، ولكنه لم يقتنع فهو رأى أنها تركته مضطرة تحت ضغط أهلها بسبب قلة ماله، أحس د. عزمي بتأنيب الضمير، ولم يدر ماذا يفعل وحاول استرضاءه بلا فائدة، وحاول الشيخ محمود التدخل بالصلح، ولكنه رأى أن العروس لا تبالي بعمر، ولا تحبه، وكانت علاقتها به سطحية، ولكنه لم يجرح عمر، وقال لأخيه عزمي: سوف يعرف ذلك إن آجلًا أوعاجلًا، لو خطبها منذ بداية علاقتها به رسميا لانكشفت له.





عطل في الغسالة



قامت علية على رنين التليفون وهو يرن رنينًا متواصلًا، فوجدت جارتها دعاء:

- ما الأمر؟

- خيرًا إن شاء الله ، المياه تتدفق من شقتك بغزارة أغلقي المحبس

- شكرًا

هرعت إلى دورة المياه ثم المطبخ لتبحث عن مصدر المياه، فوجدت المياه تتدفق من الغسالة، فأغلقت المحبس، واتصلت بالشركة فوجدت التليفونات مشغولة، فاتصلت بالشغالة لتأتي لتجفف المياه، وتحمل السجاجيد إلى الشرفة فوجدتها مريضة، فاتصلت بأخيها أحمد ليأتي لها بمن يصلح الغسالة فوعدها بذلك، واضطرت للقيام بهذا العمل الشاق بالنسبة إليها فهي الآن تخطت الأربعين من العمر، وبعد ساعة أتت دعاء إليها، وساعدتها من الانتهاء بسرعة من العمل، وأعطتها رقم تليفون فتحي، وقالت لها: إنه ممتاز، يعرف دقائق الغسالة، ويصلحها في دقائق، ولا يأخذ أجرًا كثيرًا، فضميره حي، وليس مثل الآخرين الذين يكذبون ويخترعون أعطالًا وهمية للحصول على المزيد من المال، ثم نصحتها بأن تصبر

عليه لأنه مشغول دائمًا، وسوف يحدد لها ميعادًا ربما بعد أسبوع أو أكثر. اتصلت علية بفتحي، فردت عليها ابنته باستعلاء:

ـ ما اسمك؟

ـ عنوانك؟

– نوع الغسالة؟

– نوع العطل؟

ثم حددت لها ميعادًا بعد أسبوعين، أي بعد سفرها فاعتذرت لها، وأحضر لها أخوها رجلًا آخر ليصلحها لها، وكانت علية قد اشترت شقة جديدة لها وأثثتها بسرعة لأنها لا تريد الذهاب إلى بيت أبيها، وخاصة أن درية أهملت أباها ولا تود خدمته حتى أنها أرادت ذهابه إلى مستشفى خاص لترتاح منه ولكن رفض أحمد ذلك، وهو وزوجته يقومان برعايته.

لم يترك أحمد علية يومًا واحدًا، مما جعلها تحب بلدها وتود العودة دائمًا لزيارته ورؤيته.

قبل سفر علية بيوم واحد، انهمكت في تحضير حقيبتها وجمعت الملابس المتسخة لغسلها، وحاولت تشغيل الغسالة فلم تعمل، فاضطرت إلى غسل الغسيل بيدها، كانت عملية مرهقة، والتهبت يداها من المسحوق، وأثناء ذلك رن جرس الباب، فرأت سلوى... وكانت مفاجأة لها، كانت ترتدي ملابس قاتمة ووجهها شاحب، قالت لها إنها أتت لتوديعها، ودخنت أمامها بشراهة واشتكت من عمر وأحواله، لقد أدمن المهدئات؛ وأمسكت دمعة كادت تسقط



من عينيها، ثم قالت لها إنها تود لو يسافر إلى الخارج، فنصحتها علية بأنه من الخطر عليه أن يسافر وهو بهذه الحالة فربما يخطيء، أو يتورط في أي شيء خطأ، ونصحتها بأن تسافر معه للترفيه والتغيير وألا تتركه، ودعتها لاستضافتها، فانفرجت أسارير وجهها، وشكرتها بامتنان. ثم سألتها عن ابنتها، فأعربت لها عن قلقها عليها، وخاصة أن أخلاقيات البنات هناك متحررة بدرجة لا نحبها، وحكت لها كيف أن بعض البنات زميلات ابنتها يدخن السجائر مما يجعلها تخشى عليها، ثم شعرت علية بالحرج بعدما نطقت هذه الجملة الأخيرة، وقبل أن ترحل د. سلوى أتت منى لزيارة علية، وكانت منى قد تغيرت بالإفراط في الزينة لحد المبالغة، ولاحظت علية أنها غيرت لون شعرها لثالث مرة، هذا غير الملابس العارية، فقالت لها: المعجبات في النادي لا يتركن إبراهيم، حتى في البيت يلاحقنه على الهاتف، حيث كان زوجها إبراهيم مدربًا رياضيًا ووسيمًا. وبعد انصراف منى، شعرت علية بالرثاء من أجلها، فهي تهتم بنفسها هذا الاهتمام الزائد ربما لعدم وجود أطفال لها.

العيش في الماضي

رويدًا رويدًا بدأ عمر يشفى من اكتئابه ظاهريًا، ولكنه لم يشف تماما، ففى داخله حزن قابع وحسرة على نهى التى لم يحب غيرها، وأقنع نفسه بأنها تركته لقلة ماله فقط، وحاول صديقه رفقي

مساعدته حتى عثر له على عروس على جانب من الجمال، ولكنها تقل فى المستوى الاجتماعي عن عمر فوافق والده لظروف ابنه، ولولا ذلك ما وافق على هذا النسب، ولكن ابنه ضعيف ولو تركه سينتكس، وتمت الخطبة واستماتت العروس نورا فى استمالة عمر والاستحواذ عليه، فقد كانت فرحة به بجنون فهو طوق النجاة من الخزي الذى لاحقها مؤخرًا، فكل بنات العائلة تزوجن، والأدهى أن أبناء العائلة الذكور أيضًا تزوجوا، ولم يطلبها أحد منهم، مما سبب لها الحرج، فأخذت تغدق عليه بالهدايا وتلاحقه بالمكالمات التليفونية حتى كرهها تمامًا وتركها، ثم خطب أخرى فقارن بينها وبين نهى فلم يستطع الصمود حيث كانت نهى كالنسمة فى رقتها أما هذه فكانت طويلة، وممتلئة القامة، وتمشى كالمصارع رغم تعليمها الفرنسى، فتركها، ثم ظل فترة عازفًا عن الخطبة، بينما تزوجت نهى وأنجبت طفلين؛ عرف ذلك من صديق له.

شهر العسل



أمضت فايزة شهر العسل فى فرنسا، وأرسلت لأمها لتخبرها بميعاد الوصول، لم تنم د. سلوى منذ يومين حيث أشرفت على تنظيف شقة ابنتها من الأتربة، وجهزت أطعمة تكفيها شهرًا، وذهبت إلى المطار لاستقبالها، ولكن عمر لم يأت، ظل في البيت مكتئبًا، ثم أتى خاله سمير، فجلس على جهاز الحاسوب فوجده لا



يعمل، فجلس في حجرة عمر يشكو له ما عاناه من زوجة أبيه التي تظنه لا يفهم، وتضايقه، ولا تهتم بطعامه، ولا تجهز له ما يحب كما كانت أمه تهتم به، ثم حكى له سخرية سائق التاكسي منه فطلب منه النزول، وصمم على ذلك، ثم أخذ يشكو ويشكو وهو غير منتبه لحال عمر من الاكتئاب، وعدم الاهتمام بكلامه، فسمير بالنسبة إليه أبله ثرثار، ولم يتوقف سمير عن الشكوى حتى غلب عمر النوم، ولم يسمع أية كلمة يقولها، وظل سمير يتكلم: ماذا تفعل لو كنت مكاني؟ ها ؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني؟ أحيانًا يشتمني الناس ظانين أنني أبله، لو كنت مكاني لكنت ضربتهم، أنا أعرف ذلك، لم تكن لتصمت أبدًا، هل تتذكر عندما ضربتني وأنت تذاكر ليلة الامتحان عندما زرتكم وجلست بجانبك أتكلم قليلًا، لم تسكت، لقد ضربتني وشكوت إلى والدتك، وقلت لها: لا.. لا ينفع هذا الكلام، وصممت على خروجي من غرفتك، أتمنى أن أموت، وأخذ يدعو أن تضرب أمريكا مصر أوحتى إسرائيل حتى يموت وتنتهي مشكلته، كان يشاهد أخبار الفلسطينيين ويحسدهم على الموت الذي يحصدهم. في هذه اللحظة عادت سلوى وزوجها وهو متجهم. فلقد قابلا فايزة التي قلقت لعدم وجود عمر معهم، فطمأنها عليه، ثم صمم د. وائل زوج فايزة على استضافة والديه، قائلًا لهم أنه يود السهر معهما قليلًا، ولم يدع والد فايزة مما جعله يشعر بالمهانة والضيق. وبعد عدة أيام دعت فايزة أسرتها على العشاء، فلم يذهب والدها وتحجج بكثرة العمل.



سوء تفاهم



ذات ليلة، أحست سلوى بالأرق، فقامت من النوم وأشعلت سيجارة، فهي منذ حزنها على ابنها وهي تدخن ليلًا، في شرفة الصالة بعيدًا عن عين ابنها، تنظر إلى حديقة البيت، ولا تشعر بالبهجة التي كانت تراها بها من قبل، ولا أنعشت روحها رائحة الريحان، ولا ترى إلا ظلام الليل، ولكن هذه الليلة سمعت جرس الباب، فتعجبت فزوجها نائم وابنها، هل خرج منهما أحد بدون ما تشعر؟ خرجت من الشرفة وسألت من الطارق، فأتاها صوت ابنتها فايزة ضعيفًا، ففتحت لها وهي فزعة، تسألها ما بها، كانت فايزة تتقاسم العمل في عيادة زوجها معه بعد الفراغ من عمله في الجامعة، وفي ذلك اليوم اعتذر لها وذهب للاطمئنان على والده، وكان مصابًا بارتفاع الضغط، وتركها هي بالعيادة لتستكمل الكشف على المريضات، فلم تشعر بتأخر الوقت، وعادت إلى البيت في الواحدة بعد منتصف الليل، وكان وائل قد دخل البيت للتو، وكان على وشك الخروج ليذهب إليها عندما لم يجدها، وعندما رآها وحدها ثار ولم يشعر بنفسه كعادته عند الغضب، وطردها. ثار والدها وتوعده، وأقسم عليها بعدم العودة إلى بيتها حتى يلقنه درسًا، فخافت د. سلوى، وقالت له: وخاله؟ فقال لها: لا يهمني خاله ولا غيره، فقالت له: لماذا لم تقل هذا الكلام من قبل بيع الأرض؟ لكنا استرحنا مما نحن فيه، وكانت تقصد ما أصاب ابنها.



لم يأت د. وائل، ولم يتكلم والده ولا أي أحد ليهدئ من الموقف، وفي العمل تدخل بعض الزملاء - الذين يعرفون فايزة - فى الصلح، ولم تكن فايزة تريد الطلاق، فوائل فيه عيب واحد فقط وهو سرعة الغضب لدرجة أنه لا يعي ما يقول ولا ما يفعل، ونصحتها زوجة عمها محمود بتحمله حتى يتخلص من عيبه تدريجيًا، وعادت إلى بيتها، واتصلت بوالدها وأبلغته، فغضب، وقال لها: إذا تكرر ما حدث لن أتدخل، وبعد شهر تكرر ما حدث، فأمسك د. عزمي سماعة التليفون، وهدد وائل بأنه سيرميه من شرفة منزله إذا أتى، وهدده وائل بطريقة غير مباشرة بفصله من عمله فى غمضة عين، ولم ينم د. عزمي طوال الليل، وكان يعلم أن أخاه الشيخ محمود يصلي فى ذلك الوقت فاشتكى له، رن جرس التليفون، وكان الشيخ يقرأ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ووجد أخاه فطمأنه، وقال له جملته المعهودة: توكل على الله، وتوسط الشيخ محمود فى الصلح بينهما، وبعد ذلك حملت فايزة، وفرح وائل بالخبر السعيد، وهدأت نفسه.

لم تستطع فايزة أن تترك أخاها بدون مساعدة، وخاصة أنها تعلم سبب حزنه، فلقد أظهر لها العداء، فصممت على مساعدته، وأخبرت زوجها بما يدور في خلدها من مساعدة أخيها، كانت تستغل سعادته بالحمل، ولكنها فوجئت به شخصًا آخر، لقد أخبرها بأنها لم تظلمه،



وما اشتراه لها والدها حقها في الجهاز، ثم وصف أخاها بأنه ضعيف ومريض وموسوس، وبعد ذلك بدأ يحاسبها على إيراد العيادة بحجة الإدخار من أجل ابنهما القادم، ومن أجل تحسين مستوى المعيشة، ثم أحست بعدها من كلام حماتها لها عن جهاز أقاربها الفاخر بطريقة تشعرها ببساطة جهازها، فلم تشتك فايزة لأسرتها، وحاولت احتواء الموقف حتى لا تسبب لعائلتها الحزن، وأخبرت زوجها بأن أخاها لايريد مالًا، بدليل رفضه لفرصة قد جاءته للعمل في الخارج. وكانت بذلك تريد الحفاظ على ماء وجهها، ولكنه قلل لها مصروف البيت، وأصبح يحصي كل مال يتركه في البيت، وتغافلت عن ذلك، خوفًا على بيتها، فلقد رأت معاناة زميلاتها المطلقات في العمل، ولم ترد لنفسها أن تحيا حياتهن، ورأت أن الحياة لا تخلو من المنغصات.

هروب

أحست د. سلوى بحزن عميق من أجل عمر؛ فالعمر يجري، ولم يتزوج، انتابتها حالة من الهستيريا، وأثناء ذلك جاء زوجها من الخارج، فصبت عليه جام غضبها، وحمّلته مسؤولية ما حدث، لم يعد د. عزمي يتحمل اللوم، فلقد تخطى الستين عاما، فهدأها بلا فائدة، ثم اتصل بأخيه الشيخ محمود، وكان يقرأ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فطلب منه أن يأتي



لزيارته ليحاول إقناع عمر بالزواج. وعندما أتى الشيخ محمود حاول إقناع سلوى وعزمي بالتوكل على الله، وطلب الهداية منه فإنه لايهدي للخير إلا هو. كان سمير في هذا اليوم موجودًا، فلقد كان يكثر من زيارتهم؛ فلم يكن له بعد موت أمه إلا أخته، وعندما سمع ما دار بينهم من حوار قال لهم: ما المشكلة؟ فأنا أكبر منه ولم أتزوج؟ لماذا تحزنون هكذا من أجله؟ وأنا مثله؟ لا... أنا أكبر منه!!!

بدا على سلوك د. عزمي القلق رغمًا عنه فى الجامعة، فزوجته تحمّله مسؤولية زواج فايزة ومسؤولية فشل عمر، وعلاه الغم والهم وخاصة من أجل عمر، ففايزة عاقلة واحتوت الموقف، وتحاول استرضاء زوجها، أما عمر فيعيش فى كآبة، ويدخن بشراهة، وأطلق لحيته مرة أخرى مما سبب له الحزن، ولا يعرف لماذا هو بهذا الضعف؟ وكيف تحطمه فتاة؟ أليس لديه عقل؟ لقد تزوجت نهى، وتحيا حياتها فلماذا هذا الحزن؟ فعزمي لم يكن ضعيفًا أبدًا، ولا زوجته، ثم قال لنفسه إنه ضعيف مثل عمه محمود الذى يعيش مسالمًا هادئًا، وكره د.عزمي الجلوس فى البيت بسبب إلقاء اللوم عليه بصفة مستمرة، فأكثر من المكوث فى الجامعة مع طلبة الدراسات العليا، فى هذه الظروف النفسية السيئة توددت إليه سامية طالبة فى الماجستير، وحاصرته باهتمامها، وشعر معها أنه عبقري وليس له مثيل مما جعله يرتاح بهذا المهدىء من غم زوجته، ولكن سامية لم تكتف بذلك فقد طلبت منه الزواج بمنتهى الجراءة، وبرغم المفاجأة إلا أنه فرح



بهذا العرض فهو يحتاج إلى التغيير والراحة من النكـد المنزلي، ولم يفقـد د. عزمي بسبب لوم زوجته الدائم ثقته بنفسه، فبرغم ما سببته له من ألم فهو لايزال يعرف قيمة نفسه، فهو الأستاذ الوجيه، ذو الخطوة النشيطة، ويبدو أصغر من سنه، فاشترط عليها أن يتزوجها عرفيًا، فوافقت على الفور برغم فارق السن الكبير. وعاد د. عزمي إلى البيت سعيدًا، ولم يلق بالًا لسلوى ولا لكلماتها، وبعد نومها جلس فى الشرفة المطلة على حديقة البيت، ولأول مرة يراها بهذا الجمال وتنسم هواء الليل فأحس كأنه لأول مرة يتنسم الهواء فأخذ نفسا عميقًا، وقال لنفسه: الحمد لله، لم تستطع سامية مقاومة مركزي وعلمي وشكلي، فمن يرفضني؟ وشباب هذه الأيام على شاكلة عمر؟!

في ذلك الوقـت مـن الليل كـان الشيـخ محمـود يصلي ويقـرأ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.





فايزة

لاحظت فايزة جفاء والدتها مع والدها، فتعجبت لذلك، فلم تكن أمها غبية في يوم من الأيام، وكانت تحكم العقل في حياتها، فلماذا الآن لا تفكر، وتتهم زوجها وتشق عليه بهذه الطريقة؟! فنبهتها فايزة قائلة لها على سبيل المزاح: أمي إن أبي بهذه الطريقة سيتزوج عليك.

فضحكت سلوى مستبعدة هذه الفكرة تمامًا، فمن المستحيل أن يفكر د. عزمي في غيرها، فهي جميلة عاقلة موظفة، لديها البنت والولد، من عائلة محترمة، ماذا ينقصها؟! لو أراد الزواج لتزوج وهو أصغر من ذلك.

لم تقتنع فايزة بكلام أمها، فالرجال يتزوجون في أي سن، فرئيسها في العمل متزوج من اثنتين، فالآن البنات بدون زواج كثيرات بسبب غلاء المعيشة، وزادت العنوسة بينهن، وأصبح الرجال مُتهافَت عليهم، لذلك تحافظ فايزة على زوجها وتتحمل عيوبه، فهي ترى زميلاتها في العمل بين مطلقة وعانس، والحياة الدنيا ليست جنة، فلتفرح بالمتاح من النعم حتى لا تفقدها جميعها.



خطوبة



شعرت زوجة الشيخ محمود بالأسى رغمًا عنها، ففي ذلك اليوم أبلغتها جارتها وصديقتها صفية بخطوبة ابنها لمي، والتي كانت جارتهم أيضًا، فأحست زوجة الشيخ بالمهانة، فلماذا لم يخطب إحدى بناتها، والتي لا تقل جمالًا عن مي، ورغمًا عنها ثارت، وقالت لزوجها: أنت السبب، فلو كنت تعطي دروسا خاصة لأصبح حالنا أفضل، ولتزوجت بناتنا، فقال لها: لدي أرض، ويمكنني بيعها وتجهيزهن بها، فلم تقتنع، لأن المرتب في المعهد قليل، والدروس قد ترفع مستواهن المعيشي بدرجة كبيرة، فظلت صامتة عدة أيام. وعندما أتى بعض الطلبة ليشرح لهم بعض الدروس، لم تقدم لهم شيئًا، لأنه يشرح لهم مجانًا، وفي هذه الليلة انتاب اهم الشيخ محمود وسأل نفسه هل هو مخطيء؟، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ ثم راح في النوم. في اليوم التالي، اتصل به أحد رجال الأعمال ليحفظ معه القرآن ويعطيه إجازة، فرحب به كعادته، واستبشر خيرًا، فالناس اليوم مقبلة على تعلم القرآن، وعندما أتى حاولت زوجته أن تقنعه بقبول ما يعرضه عليه من مال، ومن كثرة إلحاحها عليه، والضغط عليه بحجة البنات فكر الشيخ محمود أن يأخذ ما سيعطيه له، وعندما مد الرجل يده بالمال

لم يستطع الشيخ أن يمد يده، ورفض بشدة كعادته، ورفض أن يبيع الغالي بالرخيص، وبعدها أخذ يبكي مما فكر فيه، فالله أعطاه الصحة والستر، وخاصم زوجته ثلاثة أيام حتى تكف عن مضايقاتها له.

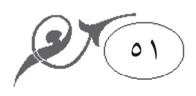
مارجريت

اتصلت سلوى بعلية لأول مرة على الهاتف، فتوقعت علية موت أحد، فردت وهي خائفة، خيرًا؟، فطلبت منها وهي خجلة بعض الأدوية لعمر والتي لم تجدها في مصر، فوعدتها بإرسالها لها، في نفس اليوم كلمتها مارجريت صاحبة المستشفى التي تعمل فيها كإدارية، وأخبرتها أنها ستسافر إلى مصر، فعزمت علية أن تحدثها بشأن عمر وتعطيها الدواء ليأخذه منها، كانت مارجريت تحب علية لحسن خلقها واجتهادها في عملها وكانت تعرف زوجها من قبل، وكانت تحب بلاد الشرق، وتشعر أن أجدادها ولدوا هناك، وأن الشرق هو أصل البشرية، كانت تحب الإحسان إلى الناس، وتقرأ في كتب الأديان، ولفت انتباهها كرم علية وزوجها، وكانت تحب الحديث معهما عن دول الشرق، وعاداتهم وتقاليدهم، وفكرت مارجريت في الرحلة إلى مصر بعد موت زوجها، وشعورها بالوحدة، وخوفها من طمع الرجال في مالها، فهي ثرية جدًا من عملها ومما ورثته من زوجها، ولقد طلب العديد من الرجال الزواج منها، وهي تعرف جيدًا الذين قالوا ذلك، فمثلهم لا تعجبهم مارجريت العجوز،

فلقد جاوزت الستين من العمر والتجاعيد بادية على وجهها، ولكن رغم ذلك ترتدي أفخر الثياب، وتختار ما يجعلها تبدو أصغر سنًا، وهي نحيفة، ولا تخلو من جاذبية وخاصة حينما تتكلم، فيبدو عليها التأثر بما تقول، وعلى ملامح وجهها تظهر الرحمة والمشاعر الفياضة، ربما توافق على الزواج من رجل يجهل مقدار ثروتها. اتصلت علية بسلوى، وطلبت منها إرسال عمر إلى الفندق الذي ستنزل فيه مارجريت لياخذ منها الدواء، وأثلجت صدرها عندما قالت لها إنها ستعالجه فهي طبيبة، وقد أخبرتها بحالته وأخبرتها أنها حالة بسيطة جدًا. هذه الأخبار جعلت الدماء تجري في عروقها، وبدأت سلوى في عمل تجديدات للمنزل حيث عزمت على استضافة مارجريت في المنزل عدة أيام، وحصلت على إجازة من العمل، وجهزت حجرة فايزة لاستضافة مارجريت، واختارت أثاثًا أنيقًا، وستائر هادئة الألوان، ووضعت بعض الزهور، وزودت الحجرة بهاتف ومرئي وجهاز حاسوب، وبعض الكتب والمجلات الأجنبية التي تتحدث عن البلاد العربية وديانتها وعاداتها.....إلخ، وأخذت تدعو الله لابنها بالشفاء والعودة إلى حياته الطبيعية.

طلاق

كانت سامية ناعمة حنون، ولم تكلف د.عزمي شيئًا إلا أنه ساعدها في تعيينها في الجامعة، فيما عدا ذلك فلم تكلفه ماديًا، فلقد



كانت والدتها تواظب على إرسال ما يكفيها، فأمها تعمل في الكويت، ووالدها متوفي، وحرصت سامية على سرية العلاقة بينهما، وعرف عزمي الهدوء والأمان لأول مرة فى حياته منذ مدة طويلة، مما جعله أفضل وأهدأ فى علاقته مع زملائه ومع زوجته سلوى، وأراد أن يمكث فترة أطول مع سامية، فاقترح عليها السفر فى إحدى البلاد العربية والعيش بها فبدا عليها القلق لأول مرة، ثم قالت له: سأفكر، لم يكن د. عزمي معتادًا على سماع مثل هذه الكلمة من سامية مما جعله يشعر بالقلق، فهي دائمًا ترضيه بعكس سلوى التى تعطى بحساب.

فى اليوم التالى فوجيء د. عزمي بعاصفة من الغضب تصبها عليه زوجته بسبب مكالمة تليفونية تبلغها بزواج د. عزمي، فأقسم لها أنه لم يتزوج، وكان فى نيته أنه غير متزوج رسميًا، وعندما قص لسامية ما حدث، قالت له بمنتهى الهدوء: أفضل حل الطلاق لأن زوجته ستعلم وهى لا تحب له المشاكل، وشعر د. عزمي أنها وراء الاتصال الهاتفي، وطالما فعلت ذلك مرة فمن الممكن أن تخبرها فى المرة القادمة بكل شيء، هو لا يخشى سلوى ومستعد أن يتركها أيضًا ولكن إذا كانت سامية تريده، ويبدو أنها لا تريده فطلقها بهدوء. وأدرك أنه كان مغفلًا كبيرًا، ولم يكن سوى سلمًا، والآن لا حاجة لها فيه، وربما تحب شابًا فى مثل سنها، شعر بالمرارة وعاد إلى بيته بغير الوجه الذى تركه، فقبل أن يتزوج سامية كان يعيش مثل الناس وراض بسلوى، لكن الآن لا يستطيع؛ فلقد جرب حنان امرأة، فلا



هو راض عن زوجته، ولا هو قادر على التفكير فى امرأة أخرى، بسبب ما فعلته سامية، إنه يعيش فى حالة عدم اتزان، ولم يستطع النوم وخجل أن يتصل بأخيه، فماذا سيقول له؟ تزوجت زواجًا عرفيًا؟ ولكنه يريد الكلام، لا... بل الصراخ، ولم يجد إلا الحاج فوزى الذى باستطاعته الوثوق به، فهو ابن عمه وصديق عمره، ومنفتح ولن يلومه، ولكن الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل، فاتصل بأخيه، وسأله عن أحواله، وقال له إنه يفتقده ولم يجد وقتًا ليتصل به نهارًا بسبب العمل، كان يريد الكلام فى أى شىء، ثم سأله عن صلاة الليل، هل لابد من قراءة لسور معينة أم لا؟.......إلخ ثم أنهى المكالمة.

سلوى



لم تصدق سلوى أن د. عزمي غير متزوج، فهذه المكالمة جعلتها تفكر في كل شيء غاب عن بالها بسبب حزنها على عمر، لقد قلل د. عزمي من نفقاته على البيت بشكل ملحوظ، ولم يعد يشتري لها هدايا كما كان يفعل من قبل، ولكنها لم تهتم، لانشغالها بابنها، وبرغم قسمه لها بأنه لم يتزوج، لم تصدقه، وحاولت الاقتراب منه وإصلاح ما فسد بينهما من علاقة، ولكنه كان بعيدًا عنها، وأحست بكرهه لها. وأيقنت أن ابنتها كانت على حق.



سامية



كانت سامية قبل الزواج تعيسة، وإن بدا عليها مظاهر الثراء والفرح والسعادة، فلقد عاشت وحيدة في الكويت مع والديها اللذين كانا يعملان، بعيدًا عن العائلة والأقارب في مرحلة ما قبل الجامعة، ولم تستمتع بحياتها فلا وقت للخروج إلا في أضيق الحدود لشراء ما يحتاجونه، كانت تشاهد الأفلام في الجهاز المرئي، وتنتظر اليوم الذي تدخل فيه الجامعة وتعيش حياتها، وكانت فرحتها لا توصف عندما تم لها ما أرادت، ورفض والدها مكوثها في بيت خالتها لوجود شباب، وأوصى أخته بالذهاب إليها بين الحين والآخر، وإرسال ابنتها لتبيت معها، ولكن ما علمته عمة سامية عنها جعلتها تمنع ابنتها من المبيت معها، فهي متحررة تسهر مع صديقاتها في السينما والمسرح، وتسافر في رحلات بعيدة خارج المحافظة، وهذا كله ضد مباديء العائلة، وحتى ترتاح من إلحاح والدها كي تعود إلى الكويت استكملت الدراسات العليا حتى تتحجج بها، كانت سامية تلوم والدتها لاهتمامها بالعمل أكثر منها، وعندما طلب منها والد سامية ترك العمل وملازمة سامية أيام الجامعة رفضت، فهي تحب العمل والمال، ربما لو كان والد سامية كريمًا معها في النفقة، لضحت من أجل ابنته، لكنه لا يستحق في نظرها أي تضحية، فلقد



كان يفضل أهله عليها، وكان يضيق عليها في النفقة، ويفشي كل أسرارها لأهله، فهو ليس أمينًا، لذلك لابد من العمل حتى تجمع ما يمكن جمعه، وتستقل عنه، وعندما حذرتها أختها من سلوكيات سامية، اكتفت بخطاب كتبته لها نصحتها فيه بالحفاظ على سمعتها حتى لا تخسر نفسها وحياتها، كان خطابًا طويلًا، وضربت لها فيه الأمثلة، وارتاحت بعد ذلك، وقالت لنفسها: لقد حذرتها، ماذا أفعل أكثر من ذلك؟ لقد أهانني والدها، ولم يعوضني عن تعبي معه، وما رأيته من فقر في بداية حياتي معه، فلتتحمل كما تحملت، ويكفي أنني أرسل إليها كل ما تحتاجه من مال، ثم مات والدها، ولم تترك والدتها الكويت رغم ذلك.

وشعرت سامية باليتم التام، لم تفعل في حياتها سوى السهر مع صديقاتها في أفراحهن حتى الفجر، والخروج في رحلات والعودة متأخرة ليلًا، لم تصاحب الشباب، كانت تتحدث إلى أي شاب كأنه أخوها، فهي تفتقد العائلة، ولكن عودتها متأخرة بعد منتصف الليل أضر بسمعتها، وعندما لم يتقدم لها أحد للزواج فكرت في الزواج من د. عزمي، وعندما طلب منها السفر إلى أحد البلاد العربية والعيش بها، رفضت فهي تكره هذه البلاد الكئيبة التي حرمتها من أمها، ومن حياة طفولتها وسط أهلها وأقاربها، مما جعلها تفقد اتزانها، وتبدو غريبة الأطوار.



تجارة

فى اليوم التالى عاد د. عزمي من الجامعة إلى مصنع الحاج فوزي، فلم يجده فذهب إلى أخيه متحججًا بأنه متضايق من مشاكل العمل وخداع الزملاء ولؤمهم، ثم سأله: هل سمعت يا محمود عن إنسان لم يخدع أبدا؟ أدرك الشيخ محمود أن أخاه متعب، فقال له: لا... حتى الملوك والوزراء خدعوا ومن نساء أيضا، فقال له: وأنت يا محمود خدعت أليس كذلك؟ فقال له: نعم ولكني لم أخسر، فقال له: كيف لم تخسر؟ أنسيت جارتنا وفاء، ألم تخسرها؟ فقال له: كنت صغيرًا فظننت ذلك، أما الآن.. فأدرك تمامًا أن ما أصابنى كان من قدر الله، وتذكر الشيخ محمود ما حدث له عندما كان شابًا، فلقد كان مدرسًا فى المعهد الدينى ببني سويف، وكان قد خطب وفاء ابنة الجيران التى تربى معها وكانا على وفاق، ودبر له قريب لها مكيدة؛ حيث أبلغ السلطات بأنه إرهابي، ومكث ستة أشهر فى السجن حتى ثبتت براءته، وفى هذه الأثناء اعتذر والد وفاء لوالده وفسخ الخطبة، ولكن والده الحاج محمد قال له كلامًا أثلج صدره: لعله خير، الله وحده العالم أين الخير؟ مع وفاء أو غير وفاء؟ ثم تزوجت وفاء ولم تنجب، وقيل أنها عاقر، وفرح والده وقال له: ألم أقل لك لعله خيرًا. نظر الشيخ محمود إلى أخيه، ثم قال له: حتى لو خدعنا، فبالاستغفار وعمل الصالحات لله فقط كل شيء يعود وأفضل مما كان، كما يحيى



الله الأرض بعد موتها، المهم يا عزمي النية تكون خالصة لله، تركه د. عزمي فى أوهامه، وقال: حقا الدين أفيون الشعوب، إنه كالمخدر؛ أرض وماء؟! لا شيء يعود كما كان، فكيف يعود أفضل مما كان؟ ثم أمسك رأسه وقال: يا مثبت العقول، الرحمة، لم يكن د. عزمي كافرًا بالله، ولكنه كان يرى أخاه سلبيًا متواكلًا، فتوجه إلى الحاج فوزي، لم يكن يريد العودة إلى البيت، كان لايزال يشعر بالإهانة والخزي، فكيف خدعته سامية وأقنعته أنها متيمة به، ذهب إلى ابن عمه وقص عليه ما حدث، فضحك كثيرًا وقال له: الآن فقط علمت أن عمر يشبهك، فما حدث لا يستحق كل هذا، أنت استفدت منها، وهى استفادت منك، بعت واشتريت، انساها بغيرها إن كنت لا تستطيع الحياة بدون زوجة، فيبدو أنك أسقطت سلوى من حساباتك، فقال له: نعم، هى السبب لقد كرهتها، ثم دخلت فى هذه اللحظة عليهم رئيسة العاملات، فابتسم د. عزمي رغمًا عنه، فهى تشبه ممثلات السينما فى ملبسها وهيئتها، وأخبرت الحاج فوزى بعض الأشياء الخاصة بالطلبيات، ولاحظ د. عزمي ارتياح ابن عمه لها، فسأله عنها، فقال له: إنها مطلقة وسيتزوجها، لقد تربت في المصنع، ولكن زوجها كان بخيلًا ويأخذ مرتبها ويضربها، قال له : وابنك مراد؟ ألم يلحظ شيئا، فهو فى المصنع دائمًا، فقال له: إنه يعلم وسيشهد على الزواج، وسأخبر أمه في الوقت المناسب، فتعجب د. عزمي من جراءة ابن عمه، وعندما لاحظ الحاج ذلك ضحك، وقال له: العمل الحكومي علمك الخوف، وأنساك أصلك الصعيدي، فقال له: لا... أنا لست خائفًا ولكن دفعًا للمشاكل، فكفاني مشاكل العمل.

انصرف د. عزمي وهو يفكر، كل الناس يعيشون فى سلام إلا هو، حتى الحاج فوزي الضخم الجسم، الغليظ الملامح يحب ومنفتح على الحياة، ويحب من؟ امرأة تخطت الأربعين من العمر، ولم يستطع كبت ابتسامة لاحت على شفتيه، وأحس بحسد تجاه ابن عمه الذى يعيش حياته بحرية، ولم يرتح لرأيه الذي اقترحه، فهو لن يستطيع إعطاء الأمان لامرأة مرة أخرى، واطمأن أكثر لرأي الشيخ محمود أن يشغل نفسه بحفظ آيتين من القرآن كل يوم ويذهب إليه فى نهاية الأسبوع لقراءة ما حفظ عليه، وبالفعل أحس د.عزمي بمتعة روحية وفرحة كلما حفظ سورة جديدة.

ذكريات

أثار كلام د. عزمي الشجون فى قلب الشيخ محمود، فتذكر كل من خدعه، وخاصة عبد السميع، جارهم في البلدة، حيث جاء إليه في يوم عاصف ممطر مما جعله يتعجب، لماذا لم ينتظر حتى يكف المطر؟! كان الرعد يدوي حين دق باب دارهم، ثم ظهر عبد السميع الذي أبدى له ندمًا شديدًا على تأخير تنفيذ وصية والده ببناء مسجد، حيث مرض ابنه بالالتهاب الرئوي وخاف أن ينزل الله عقابه به، وقدم له المال الموصي به، وكان لا يكفي، فقال له عبد السميع: من الممكن جمع الباقي من المتبرعين، وطلب من محمود أن يتولى جمع التبرعات، وكان محمود عندهم صادقًا أمينًا، فنصحته أمه بأن يبتعد عن ذلك حتى لايضع نفسه فى موضع شبهة، وأحاديث



النفس كثيرة، ولكن الشيخ محمود كان له رأي آخر، فعبد السميع لم يكن أمينًا وأنفق مبلغًا من مال المسجد، ولو رفض الشيخ محمود القيام بهذا الأمر فسوف ينفق بقية المال، ولقد أخذ منه المبلغ المتبقي، ولم يعطه أى تبرعات للحفاظ على أموال الناس مما أغاظ عبدالسميع، فلقد كانت نيته سحب ما يمكن سحبه من أموال الناس، وبني المسجد ولكن عبدالسميع حاول التشكيك فى ذمة الشيخ محمود، واتهمه بتضييع بعض المال، ولم يسكت إلا بعد أن هدده والد الشيخ محمود بأن يكف عن التشهير بابنه وإلا سيضربه أمام البلد كلها، ولكن الشيخ محمود لم يندم على ما فعل لأن الله يعرف نواياه ولم يخسر شيئا. ولو طلب منه أحد مثل هذا مرة أخرى لقام به ولم يبال. وكلما ذهب الشيخ محمود إلى بلده ويسمع الآذان عاليًا يحمد الله على ذلك ويشعر بالسعادة، فالله أكبر من أذى عبدالسميع وأمثاله. دخلت زوجة الشيخ بالشاي فقطعت حبل أفكاره، ثم اعتذرت له عما بدر منها، وتوبيخها له بخصوص البنات، فسألها عن سبب هذا التغيير المفاجيء، فقالت له إن مي قد طلقت بعدما اكتشفت طمع العريس في مال أبيها، فهو لا يبتسم في وجهها إلا إذا أرسل لها والدها الطعام والمال.

أم حنون

اتصلت د. سلوى بمارجريت، ودعتها للزيارة، وأرسلت عمر لاستقبالها في محطة سيدي جابر، وبهرت مارجريت عمر بجمالها



وأناقتها حيث بدت كعجوز أرستقراطية إنجليزية، وتقدم إليها وعرفها بنفسه، واصطحبها إلى سيارته، لم يدر عمر ماذا يقول، ولكن مارجريت أراحته من حيرته فهي لم تكف عن الحديث، وقال عمر في نفسه: العجائز متشابهون في كل مكان! حدثته عن نفسها طفولتها وشبابها وعملها، وعندما مروا بجانب أحد المطاعم سألها عمر إن كانت تحب أن تأخذ شرابًا، فرحبت بذلك، مما ضايق عمر قليلاً، فهو لم يكن جادًا في دعوته، تعمدت مارجريت أن تجلس مع عمر لدراسة حالته، وكان بالفعل مكتئبًا، لذلك حدثته عن حكايات فكاهية عن عائلتها حتى يبتسم، وتعمدت أن تحكي له عن مرضاها، وكيف أن الحياة بها أشياء جميلة، ومن البلاهة أن نفوت لحظة بدون الاستمتاع بحياتنا، لاحظت مارجريت عدم اهتمام عمر، فغيرت الحديث إلى دراسته، وكيف يمكنه تطوير نفسه والعمل في الخارج، وأبدت استعدادها لمساعدته والعمل لديها، فجرى الدم في عروق عمر، وبدأ يتحدث عن الدراسة بالخارج والسفر، لقد أراد الهرب كما يبدو، ثم دب النشاط في جسده، وأخذ مارجريت في جولة سريعة بالسيارة في المنتزة والمعمورة، وتوطدت العلاقة بينهما حتى كف عن تناول المهدئات، وعاش على أمل السفر، والدراسة والعمل والثروة التي تعمل كل شيء، وفرحت سلوى بحنان هذه السيدة العظيمة التي تشبه القديسات وتحب العطاء، لدرجة أنها عرضت عليه مبلغًا كبيرًا جدًا كي يتمكن من السفر، ولكنه رفض لأنه يجري في عروقه بعض الدماء الصعيدية، سافرت مارجريت لمباشرة أعمالها، بينما تركت عمر بصحة جيدة، وهو فرح مستبشر بالحياة في الخارج. وشعرت سلوى



بالامتنان لها، فهي لم تدع يومًا إلا واتصلت بعمر وكانت تحدثه مدة طويلة، برغم بعد المسافة وتكاليف المكالمات. وأحيانًا كانت تكلمه مرتين في اليوم لمدة ساعات، وظلت هكذا حتى سافر عمر، وارتاحت سلوى كثيرًا، واتصلت بعلية لتوصيها عليه.

اطمأنت سلوى كثيرًا بعد سماعها من علية بأخبار عمر، فهو في صحة جيدة، وسعيد في عمله.....إلخ، فذهبت سلوى إلى محل لتصفيف الشعر، وتزينت، وأرادت أن تجدد في مظهرها وتستعيد علاقتها مع زوجها، ولكن عزمي لم يحب رؤيتها، ولا يطيق النظر في وجه من تلومه دائمًا، لقد شعر بالرعب عندما سافر عمر، إنه لا يحتمل الحياة معها في بيت واحد، لقد سببت له الحزن وتأنيب الضمير. وأصبح يتهرب منها كأنها شبح بحجج مختلفة. لدرجة أنه أعد نفسه للترشح في إنتخابات مجلس الشعب المقبلة، وأصبح يخرج كثيرًا من البيت، متعللًا بأن عليه أعباء كثيرة، ولابد أن يلتقي ببعض الأصدقاء في النادي ليتشاور معهم في هذه الأمور، كل ذلك للهرب منها، فأحست بالندم لقد أضاعته بغبائها، فلم تكسب شيئًا بتأنيبه، ولم تغير الأمور للأفضل، وأحست بالوحشة والغربة والوحدة.

زواج

كان عمر يتصل بوالدته كل أسبوع وأحيانًا مرتين خلال الأسبوع، ولكن مر أسبوعان ولم يتصل، فاتصلت أمه به للاطمئنان



عليه فلم يرد عليها، فاتصلت بعلية للاطمئنان على عمر، ومعرفة أخباره، فعرفت منها أنه مشغول بالعمل وبترتيبات الزواج، ألم يخبرك؟! فقالت لها بفرح: حقيقي، هذا شيء جميل، الحمد لله.. الحمد لله، أخيرًا، فقالت لها: نعم سيتزوج مارجريت، فأصابها حزن وخوف على ابنها، وقالت لعلية: إنها عجوز أكبر منه، لماذا تستغل ظروفه وضعفه؟ فقالت لها علية: لقد حاولت أن أثنيه عن هذا الزواج، ولكنه مقتنع تمامًا بها، ربما هذا خير له من الوحدة. ربما هذه مرحلة وستمر، لم تنم سلوى هذه الليلة، لقد استغلت ابنها امرأة مجنونة، وللأسف لا تشعر بهذا وتظن أنها عاقلة، كيف صمتت، كيف كانت سلبية وهي ترى ابنها تلعب به امرأة مجنونة، فلقد كانت تتصل به يوميًا بالساعات من آخر الدنيا مثل المراهقات، أليس هذا جنون؟! وشعرت سلوى بتأنيب ضمير قاتل، كيف تغاضت عن عيوب مارجريت؟ كيف سمحت لابنها أن يخرج معها؟ وتذكرت كيف في البداية شعر ابنها تجاه مارجريت، فلقد كان يعاملها باحترام كما يعامل أية امرأة عجوز، يفتح لها باب السيارة، يمسك يديها لتخرج من السيارة، تركته معها كي تعالجه، ولم تكن خائفة منها على عمر، فلم تسمع في حياتها أبدًا أن شابًا أحب عجوزًا إلا لمصلحة ما، وابنها لم يكن ينقصه الجاه، وفي الفترة السابقة جمعت له بعض المال، محاولة تعويضه، ولم ينشأ محرومًا، وتذكرت ما حكاه لها عمر من حكايات عنها، عن طفولتها ونشأتها، لقد كانت أمها مختلة عقلية، مصابة بمرض رفض الأمومة، والعيش كمراهقة ليس لديها أولاد، مما جعل أولادها لا يستشيرونها في شيء لعدم ثقتهم فيها، ووصفت له حال إخوتها فهم مضطربون إلا هي،

الذكية الوحيدة التي ورثت ذكاء والدها، لذلك نجحت في تأسيس مستشفى، ونجحت في تحقيق ثروة كبيرة، وهي معروفة بالاتزان والعقل، فتزوجت رجلًا عجوزًا ثريًا، ليدعمها في تأسيس مشروعها، وبعد وفاته تزوجت مدير المستشفى الذي حاول استغلالها وسرقة مالها ولكنها كشفته، وبعد ذلك مات من جراء تسمم غذائي. ولم تهنأ سلوى بسبب فكرة سيطرت على رأسها، ماذا لو سممت هذه المرأة ابنها؟ ولكن ليس في استطاعتها الكلام، فابنها مريض، وربما يعود بعقدة أخرى. أما عزمي عندما عرف ذلك، قال لها: اتركيه يفعل ما يشاء، فهو لم يعد صغيرًا.

وفي ذلك الوقت، كان عمر راضيًا عن حياته، فلقد انتقم من والديه، فهو يعلم تمامًا أن زواجه من مارجريت يسبب لهما الحزن والخزي أمام الناس، ولكن أليس هما الذان علماه هذا الدرس العملي؟ فالمركز والمال هما الأهم.

سمير

ندم د. عزمي على زواجه من سامية، فلقد فتح عليه التفكير في الزواج الثالث، رغمًا عنه ألحت عليه هذه الفكرة، ولكنه سيختار بعناية هذه المرة، سيختار امرأة قريبة من سنه، أرملة أو مطلقة، لكي تحرص عليه، ولا تلومه وتهينه، ولكنه في نفس الوقت يشعر بأنه لن يحب أحدًا مثل سامية، أتى أبريل، ولم يكن د. عزمي يدع أبريل



يمر بدون زيارة شاطيء البحر في نفس المكان المعتاد، في شاطيء جليم في الصباح الباكر، ولكن أبريل هذا العام كان مختلفًا، ومن شدة حزنه تدثر فى فراشه، يلتمس بعض الراحة، وأفاق على صوت سلوى تقول له: كتابك فى القانون التجارى تمت طباعته، وهذه نسخة منه فنظر إلى الغلاف وعليه اسمه:

الأستاذ الدكتور/ عزمي محمد صقر

في هذه اللحظة دق جرس الهاتف، كان والد سلوى يخبرها وهو يبكي: لقد توفي سمير، توفى وهو يكلم أصدقاءه في المنتدى أمام جهاز الكمبيوتر.

كان يوم وداع سمير مشهودًا، لقد مات وارتاح من معاناة الحياة، ذهب إلى حيث الحياة الأفضل التي كان يريدها، وودعه أعضاء المنتدى، فقد كان عددهم يسد الأفق، وقالت سلوى لعزمي الذي كان يجلس بجوارها في السيارة بعد الفراغ من دفن سمير: رحم الله سميرًا؛ لقد حاول أن يعيش سعيدًا حتى آخر لحظة في حياته.

الحنين



شعر د. عزمي بحاجة ملحة تدعوه إلى زيارة قبر سامية في الكويت، لا يعرف لماذا؟ لعلها نصفه الآخر كما أخبره أستاذه، وبالفعل سافر إلى هناك، وتوجه إلى بيت والدة سامية، فقد كان يعرف رقم هاتفها، وأخبرها أنه أتى لتعزيتها، وإن جاء متأخرًا



بسبب ظروف عمله، ثم عرف منها أن سامية لم تحب أحدًا غيره، وعندما سألها عن اتصالها بزوجته كما ظن، أقسمت له أنها لم تتصل ولقد بكت كثيرًا أمامها وحزنت على فراقه، ثم أخبرته بأن التي اتصلت بزوجته هي صديقة لسامية وثقت بها، فغارت منها لسعادتها معك، وتعمدت ذلك، ندم د. عزمي على سفره وعلى معرفته بهذه المعلومات التي ستجعل حزنه عليها لا يفتر، وتذكر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾.

ثم زار قبرها، وعاد إلى وطنه حزينًا.

السيجارة الأخيرة

لاحظت د. سلوى عدم رغبة زوجها في الحديث معها، حاولت إصلاح ما أفسدته مرات ومرات بدون فائدة، برغم أنه كان يحفظ القرآن ويواظب على الصلوات في المسجد، لقد اقترب من الله كثيرًا، لذلك لم تجد شيئًا تفعله إلا تقليده، فبدأت تقترب من الله، وأقلعت عن التدخين تمامًا، حتى فوجئت بعمر يتصل بها، يخبرها بأنه سيعود، وأنه طلق مارجريت، لقد عرف أنها استغلالية، تعطي بحساب، وأن بلده برغم ما فيها من سلبيات أفضل من الغربة، وأبدى ندمه على سلوكه، فالحياة لا تستحق كل هذا الحزن، والخيارات كثيرة.

فرحت سلوى كثيرًا بهذا الخبر، لقد عاد عمر إلى حالته الطبيعية، وبدأ يبحث عن عروسة مناسبة لسنه، وبشرت عزمي بذلك، واعتذرت له على ما بدر منها، ولكنه لم يعد كما كان، لقد خسرته للأبد.